
Gaylord
PAMPHLET BINDER
Syracuse, N. Y.
Stockton, Calif.



محاورة
الإمام المصلح كاشف الغطاء
الشيخ محمد الحسين
مع السفيرين البريطاني والأميركي
في بغداد

بمناسبة زيارتهما لسماحته في مدرسته

في النجف

أولهما يوم الأربعاء ٢٧ محرم الحرام سنة ١٣٧٣ هـ وثانيهما قبلا

يوم ٢٠ جمادى الاولى سنة ١٣٧٣ هـ ٥ شباط ١٩٥٣ م

الطبعة الرابعة

المطبعة الحيدرية في النجف

١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م

محاورة

الإمام المصلح كاشف الغطاء

الشيخ محمد الحسين

مع السفيرين البريطاني والاميركي

في بغداد

بمناسبة زيارتها لسماحته في مدرسته

في النجف

أولها يوم الأربعاء ٢٧ محرم الحرام سنة ١٣٧٣ هـ وثانيها قبلا

يوم ٢٠ جمادى الاولى سنة ١٣٧٣ هـ ٥ شباط ١٩٥٣ م

الطبعة الرابعة

المطبعة الحيدرية - النجف

١٣٧٣ هـ ١٩٥٤ م

مقدمة

حضرت صدفة ، (ورب صدفة خير من ميعاد) مدرسة الامام المصلح آية الله محمد الحسين كاشف الغطاء ، قبل الزوال يوم الأربعاء ٢٧ محرم الحرام ١٣٧٣ هـ لمراجعة بعض الكتب والمذاكرة مع سماحته كما هي عادتي عند الحاجة ، وعادة كثير من أهل العلم عند اللزوم ، فرأيت عند الحاضرين حالة انتظار واستعداد لمجيء وفد محترم الى المكتبة العامة في مدرسة الامام ، فقلت في نفسي نعمت الصدفة لهذه المشاهدة ، وصرت أتطلع الى باب المدرسة لأرى متى يصل الوفد ، واذا به قد أقبل يقدمهم السفير البريطاني (السير جون ترو تبيك) في بغداد ، وسعادة متصرف اللواء عباس البلداوي وقائمقام النجف مهدي هاشم ، ورجال الشرطة ومديرها في كربلا سعادة علي غالب ، وترجمان السفير المذكور وسكرتيره الخاص .

وكان قد زاروا بعض البيوت وسألنا بعض من كان معهم عما جرى ، فقال : ما رأينا إلا (الصمت منهم) :

فلما جلس السفير ومن معه في المكتبة طلب الاجتماع بسماحة الامام وكان الامام في داره ، ونظراً لرغبة جماعة من المدرسين في مدرسته وجملة من التلاميذ وإلحاحهم على قبول مقابلته اجتمع معه في غرفة المطالعة امام مكتبته العامة ، وكانت حاشدة بهيئة المدرسين وعدة من أفاضل أهل

العلم وغيرهم من وجهاء النجف ، فاغتنمت هذه الفرصة الثمينة وجلست في طرف غرفة المطالعة لأستفيد من المحاورة التي تدور بين سماحة الامام ، والسفير البريطاني ، وحيث ان الجلسة كانت فريدة في نوعها ، وقد استغرقت أكثر من ساعتين ، وتطرق سماحته الى شتى المواضيع الخطيرة والنواحي المفيدة .

ولما انفضت الجلسة وخرج السفير ومن معه من المدرسة طلب مني جماعة من الأفاضل تسجيل ما رأينا وشاهدناه ليطلع القارئ على احتجاج (الأب الروحي) ومواقفه الشريفة مع المستعمرين وما فيها من الفائدة وتحرير الأفكار ، عسى أن يكون في نشره فائدة للمسلمين عامة ولأبناء الضاد والمراقبين خاصة ، وتحذيراً لهم من الوقوع في حبائل الجمعيات المقوضة لدعائم العمران ، وقواعد الأديان ، وركائز الايمان ، وأضرار الاستعمار ، وما يستتبع من الدمار والبوار ، وحافظنا حسب الامكان على العبارات والمحاورات التي جرت بين الطرفين ، وربما فاتنا شيء منها لتشعب الحديث وتنوع المواضيع .

مشاهد

من خطبة لأمير المؤمنين سلام الله عليه في النهج :

إن الله سبحانه أخذ على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم ، وهذا هو الذي يبعث سماحة الامام ويهيب به الى أمثال هذه المحاورات الثائرات .

ابتدأ سماحته فقال للسفير الانكليزي :

أنت شخصية محترمة وتمثل دولة معظمة وأنا وإن كنت لا أعتد بنفسي ولكني امثل أكبر امة فيها الملايين من المسلمين لا في العراق فحسب بل في جميع الأقطار العربية وغيرها كايران ، والأفغان ، والهند ، وباكستان وحتى في تبت ، والصين ، كل اولئك يأخذون برأيي ، ويأتمرون بأمري ، واجتماع هكذا شخصيتين نادر الحصول جداً قد يتفق في عشرات من السنين وقد لا يتفق ، أما وقد حصل في هذه الساعة فلا ينبغي أن ينقضي هذا الاجتماع بغير فائدة عامة ومنفعة لكلا الامتين ولا نصل الى هـــذه الغاية ونصيب الهدف الأسمى إلا بالصراحة وترك المجاملات وما تسمونه (الدبلوماسيات) يلزمنا بيان الحقيقة السافرة والنصائح الفارغة من الغش والمداهنة مهما كانت حلوة أو مرة ، فقال السفير : أنا مستعد لذلك وأشكركم عليه . فقال صاحب السماحة : نحن معاشر العرب بل والمسلمين عموماً وإن كانت قلوبنا دامية منكم وقد طعنتمونا الطعنة النجلاء في الصميم — وما أكثر طعناتكم لنا — ولا كهذه الطعنة طعنة فلسطين ، ولكن قد ابتلينا نحن وأنتم بالعدو المشترك العنيد وليس هو عدونا وعدوكم فحسب بل عدو الانسانية ، عدو كل فضيلة ، عدو الحرية التي هي من أفضل نعم الله تعالى ، عدو الحرية الشخصية والاجتماعية الذي يجعل الانسان آلة ميكانيكية لا ارادة له ولا اختيار

عدو كل فضيلة وكرامة هذا العدو الألد الذي يريد القضاء عليكم أولا وعلينا ثانياً بل يريد قلع جذور الفضائل والكرامات ، والأسر والعائلات وقد نمى واتسع وامتدت جراثيمه وخراطيمه الى كل قارة بل الى كل قطر بل لكل بلد ، ولوثت كل اسرة تلك المبادىء التي تسمونها المبادىء الهدامة ، واسميها المبادىء السامة التي تسمم جوهر الانسانية وتزهق بها روح الفضيلة . يلزمنا أن نتعاون معاً على كفاحها ، ونبيدها قبل أن تبيدنا ، ونهلكها قبل أن تهلكنا ، ويلزمنا قبل كل شيء أن نبحث عن السبب في انتشارها هذا الانتشار الهائل ، وقد استشرى شرها حتى هجم على النجف الأشرف البلد المقدس الاسلامي الذي نشأت منذ وضع حجرها الأول على تقوية الدين ونشر الأخلاق الفاضلة وغرس عناصر الفضيلة في تربتها الطاهرة بل هي كلية اسلامية تشد الرحال اليها من جميع الآفاق منذ أكثر من الف سنة لتحصيل العلوم الدينية ، وينكفيء عنها أفاضل العلماء الى أوطانهم بعد حمل الشهادة من مراجعها الأعلام ، تصور جيداً وانظر كيف توغلت هذه الدعاية السوداء من غير منطق ولا حجة ولا مال ولا جاه ولا توظيف حتى أصبح لها في النجف وهي تلك البلدة الاسلامية المقدسة الدينيـة المحضة أوكار واسعة فيها تشكيلات وإنظمـة يقوم بها شباب نشيط متحمس ، إذاً فالواجب يدعونا بشدة الى أن نبحث عن السبب لهذا الانتشار والاتساع ، ولكل معلول علة ، ولكل حادث سبب ، وإذا توصلنا الى معرفة السبب ربما يسهل علينا علاج هذا الداء الوبيل ، واهتدينا الى دواء هذا المرض الفتاك . وبهذه المناسبة ولما تتطلبه من معرفة السبب لهذا الحادث العجب ، نذكر حديثاً لنا مع أحد ساسة

الآنكليز في أوائل الحرب الثانية التي اشتبك بها الحلفاء مع النازيين هبط الوحي على حكومتنا من أسيادهم أو حنفائهم باعتقال عدة غير قليلة من شخصيات العراق وبالأخص من رجال بغداد وشبابه بتهمة النازية فأخذوا على الظنة والتهمة بدون محاكمة ولا نظر فاعتقلوهم في محل على الحدود بين نجد والعراق يعرف بـ (نقرة السلمان) وهو أخبث محل وأسوأ منفى في رمال الصحراء والوادي العميق حيث لا ماء ولا طعام في خيام مهلهلة لا تقيهم من حر ولا برد وليس سوى بئر أو بئرين ماؤها زعاق مهلك ، وفيهم رجال من ذوي الشأن والشرف والنعمة والترف . فكتب جماعة منهم إلي ومنهم المرحوم المحامي الشريف السيد محمد عبد الحسين رحمة الله عليه كتباً مطولة يستغيثون فيها من الوضع المزري الذي هم فيه وآخر ما يلتمسون مني أن أتوسط لهم عند الحكومة أن يقتلوهم بدل أن يعتقلوهم ويسجنوهم بهذا السجن الذي يهون عنده سجن الشيطان في المكسيك أو غينيا ولا تسل عما أصابني من النكد والكمد على تلك الفئة التي أصارتها المقادير الى هذا المصير . وكان في الديوانية شخصية خطيرة من كبار ساسة الانكليز يعرف بالميجر (ميد) وكانت سياسة القوم في ذلك الوقت أو في كل وقت تلح عليهم بمجاملة علماء الدين وخاصة علماء العرب ولعله عندهم كلي منحصر في فرد فكان هذا السياسي اللامع تترى رسله إلي من الديوانية بالسلام وتفقد الأحوال قائلا هل من أمر فنمتثل أو حاجة فتقضى والجواب طبعاً السلب ، وكانت هذه العناية والرعاية لامور لعلهم أعرف بها مني ، وكان يكرر الايعاز إلي إني سوف أزور النجف وأحظى بزيارتكم خاصة وبينا أنا مرتبك الحال افكر في طريق لمساعدة

اولئك السجناء وانقاذهم من نقرة السلمان إذ جاءني ذات يوم قبل الظهر رسول من القائمقام وهو يومئذ (لطفي أبو عامر) يقول : إن الميجر (ميد) ورد حالا من الديوانية ويتناول طعام الغداء في منزلي ويريد زيارتكم عصراً فعينوا الساعة التي لا تزاحم استراحتكم . فقلت له : الساعة العاشرة عربية ، ودخلني شيء من الانتعاش ، وقلت : لعل الله أراد خلاص اولئك المساكين المساجين (وإذا أراد الله أمراً هيأ أسبابه) فجاءا معاً ولا ثالث معهم الى غرفتنا في المدرسة وكان يجيد العربية بحيث لم نحتج الى ترجمة وبعد المراسيم قلت له : اريد أن احدثك بحديث لعل لك فيه بعض الفائدة . فقال : لهذا أتيت . فقلت : أتعلم ان في العراق دعاية نازية قوية ؟ قال : نعم . قلت : أتعلم ان أشدها وأقواها في النجف ؟ قال : لعلها كذلك . قلت : أتعلم من يقوم بنشر هذه الدعاية ويغذيها وينميها ؟ قال : لا أعلم ، فقلت : لا تصدق ان ذهب الألمان وصل الى العراق أو الى النجف ولا ان واحداً من دعاة النازية ورجالهم ورد الى النجف سراً أو علناً وبث هذه الدعاية ، فقال : إذن من أين هي ؟!! قلت : هي منكم لا غير وأنتم معشر الانكليز أقوى الدعاة الى هذا المبدأ وبعث الناس اليه وتحبيبه الى النفوس فانتفض مغضباً وقال : كيف وهذه قنابلهم تصب الصواعق على لندن وأهاليها يهرعون الى المخابىء والملاجىء . فقلت : نعم . سياستكم القاسية الرعناء وسوء تصرفكم حبب النازية الى الناس فأنهم يتمنون الخلاص منكم بكل وسيلة كالغريق الذي يتشبث بكل حشيش عسى ينجو به من الهلاك ، فاستشاط بالأكثر وقال : ماذا صنعنا بالناس ؟ فقلت له : الشواهد كثيرة والساعة قصيرة ولكني أتلو عليك واحداً منها : أسألك

هل أن هؤلاء الذين اعتقلتموهم في نقرة السلمان لصوص أو قطاع طريق أو محاربين . غايتها ان صح ذلك انهم مجرمون سياسيون ، وكنا نسمع ان المجرم السياسي يرفه عليه في سجنه أكثر من بيته ، ثم شرحت شيئاً من تعاسة وضعهم فقال : أنحن سجناهم ؟ فقلت : دعني من هذه اللغة فأنا أتكلم معك على الحقايق والأمر الواقع فلا تخادعني في القول . نحن وأنتم شيء واحد انصهرنا في بوتقتكم حتى لم يبق لنا أي كيان . والحق ان الرجل كان عفريتاً في السياسة ولكنه تضاءل وتصاغر معي ، ولم ينسجم حديثه مراوغاً في القول ، فقال : المعتقل والسجين يريد ان يسقى ماء مثلجاً وينام على فراش ناعم ، فقلت : كلا لا ماء مثلج ولا ماء زقوم بل اسقوه الماء الذي تسقونه للنبات والحيوان الذي يحفظ رمق حياته . وليتكم حاكمتوه ولو حكماً عرفياً ثم تعتقلونه أو تقتلونه حسبما تشاءون ، ولما حوصر وانقطعت حجته وعد خيراً . وبعد أيام نقلوا المعتقلين من نقرة السلمان الى العمارة ورفه عليهم .

تأخر الزراعة في العراق

ثم قال سماحته :

وسبب انتشار النازية ذلك اليوم هو سبب انتشار الشيوعية هذا اليوم ونزيدك ايضاحاً ان المساعي التي تبذلها بريطانيا للاستيلاء على العراق واستغلال خيراته وبركاته ليس اولها في بدء الحرب العامة الاولى

بل قبل ذلك بمائة سنة أو أكثر أيام حكومة الأتراك فقد نشأنا قبل سبعين سنة والسلطان يومئذ (عبد الحميد) و (الياليوزخانه) وذيولها من أعوانها العراقيين الذين استعبدتهم (بالروبيات) ينشرون أكبر دعاية لبريطانيا في العراق واجتهدت في تحبيب الانكليز وجعلت عنصر السكسون مثالياً حتى شاع في لهجة العراقيين ان الدولة العادلة هي بريطانيا فاذا أراد أحدهم ذكر الانكليز يقول : « الدولة العادلة بريطانيا » وتشعبت الأذهان حتى أن رجل الشارع صار يعتقد أن الانكليز إذا حكموا العراق يجعلوها جنة من جنان الفردوس ولا يبقى شبر منه غير معمور كما كان يعبّر عنه في الصدر الأول (سواد العراق) أو أيام الحدائق المعلقة في بابل ، ولما اشتعلت نار الحرب الاولى وهجم الانكليز ببواخره من الفاو على البصرة كانت وجوه العراقيين وظواهرهم للأتراك وقلوبهم مع الانكليز ثم تفاقم الحال حتى اعلنوا بالمناصرة للدولة الجديدة بأمل انها ستحظى بالخير والسعادة فطردوا الأتراك من بلادهم وهي دولة مسلمة ، ومكنوا الانكليز من ركابهم ورقابهم ولولا مساعدة الأهالي وثوراتهم المتوالية على الأتراك في الحلة والنجف وغيرها لما تغلب الانكليز عليهم . وفي الحقيقة انما فتح العراق للانكليز هم أهالي العراق وعشائره لا مناورة الانكليز وبواخره وخطب كبار قوادهم بادىء بدء قائلين للملأ العراقي : « إننا دخلنا محررين لا فاتحين ، ومعمرين لا مستعمرين » فانتظرنا وصبرنا حتى نفذ الصبر فلم يجد العراقيون إلا الانتقال من سيء الى أسوأ ، أما العمران فالصحاري تلك الصحاري والقفار تلك القفار ، أرأيت يا معالي السفير الأراضي الواسعة التي قطعتها بسيارتك بين كربلا

والنجف ، أرأيتها كيف وهي أرض طيبة صالحة للزرع والغرس والعمران ولكنها اليوم شاحبة قفراء لا ماء ولا كلاء وشط الفرات الى جنبها يبعد عنها أقل من ميلين . فلو أنكم وجهتم نظركم حينذاك لتعميرها بنصب المضخات لها أوشق الجداول فيها لدرّت بالخيرات والبركات والثروة الطائلة واشغلت جملة من الأيدي العاطلة وأعقب ريعها ما يسد نفقاتها في سنتين أو ثلاث وعاش بها امة من العراقيين والفقراء والمساكين وبالأخير كانت تعود نتائج ثمراتها على حد ماقيل :

ما تجمع الصعوة في عامها   يأكله الباز بمنقاره

وهكذا الحال في غيرها من أراضي العراق القاحلة وهي ام الرافدين أرأيت الجزيرة بين دجلة والفرات فقد كانت في أيام الدولة العباسية من أولها الى أواسطها قرى آهلة وبساتين ومزارع متواصلة ، وكان الشريف المرتضى علم الهدى يكنى ابو الثمانين لامور منها انه كان يملك ثمانين قرية بين النهرين يعني بين المسيب والمحمودية ، هذه من جهة الناحية العمرانية وما حصل للعراق منها بعد الاحتلال . واليوم ولا واحدة . أما الناحية الاقتصادية فيكفيك في تصويرها أوتصورها ان التمر وهو أكبر صادرات العراق وقوام معيشة أهاليه كان سعر الطغار فيه يتراوح بين العشرين والثلاثين ليرة ذهبية عثمانية يعادل ستين دينار الى تسعين وحافظ على هذا مدة سنوات الحرب وما بعدها بقليل ومنذ نشبت مخالب الاستعمار في هذه الأقطار صار الطغار كما هو اليوم على الغالب يتراوح بين الخمسة عشر والعشرين وبعد اخراج المصاريف لا يبقى منه سوى عشرة دنانير أو ثمانية قيمة كيس سكر - يعني ان عشرين وزنة تمر بوزنة سكر

أو من قهوة وعلى هذا القياس سائر الصادرات والواردات ومن هنا عم الفقـر وانتشر في الشعب العراقي البؤس وانحصرت الثروة في أفراد معدودين من الاقطاعيين . أما الناحية الأخلاقية وانتشار الفساد والتفكك وتفكك عرى المقاييس في العفة والكرامة وتبدلهـا بالدعارة والاستهتار وخاصة بين الشباب والنشىء الجديد حتى شاع البغاء وانتشر الفجور وشرب الخمور الى حد لا يوصف ومهما تكثرت المدارس واتسعت دائرة التعليم لم نجد ولم نجد في تربية الناشئة تربيـة صحيحة وتثقيفهم ثقافة أخلاقيـة لا هم للتلميذ حين دخوله المدرسة إلا تحصيل الشهادة والتوصل بها الى التوظيف ونيل المناصب التي تقتل المواهب وتميت الضمير والوجدان وإلا فأين الزراعة وأين الصناعة وأين المهن الحرة . انحصرت المعارف في الوظائف وضاع الرعيل وقائده .

المطالبة بالاستقلال

هذه اشارة وجيزة الى ما وصل اليه العراق بعـد دخول المحررين والمعمرين . فقال السفير جواباً على هذا البيان الذي يدعمه العيان والوجدان قائلا : أنتم قلتم لنا تعالوا تعالوا خلصونا من الأتراك فجئناكم وبذلنا أموالنا وضحينا رجالنا وهذه قبور جنود الانكليز في بلادكم تشهد لنا . وأردنا أن نعمر بلادكم ونثقف بجميع قوانا أولادكم فتتابعت الثورات علينا وطلبتم الاستقلال وقلتم نريد نحن نحكم بلادنا ونترقى ونتدرب على الحكم بأنفسنا . فأعطيناكم ذلك فاذا كان تقصير في التعمير فاللوم عليكم

لا علينا حيث أخذتم ذلك على عهدتكم ولم تتركوه على عهدتنا ومع ذلك فالتقدم ظاهر بمقدار محسوس فقد كان الفيضان يستغرق ويغرق أكثر المباني والمزارع حتى كان الماء يحيط بقصر الملك بعض السنوات وأصبح في هذه السنين في أمن من كل خطر . وقد أعطينا كم مالاجزيلا في العام الماضي وننظر كيف توجهونه وأين تصرفونه (فتبسم سماحة الامام) وقال : أنا أتكلم معك على الحقائق ومن صميم الواقع وكأنك تتكلم معي بنحو المغالطة واللف والدوران وأرجو أن تعلم اني احاورك بروح التفاهم والاخلاص والمحبة للحق والنصح فلا تنظر كلامي بنظر العداء والبغض مهما كان فيه من نعومة أو خشونة ، نعم أعطيتمونا الاستقلال ولكن الاستقلال الكاذب المزيف (الحقيقة تلك الحقيقة) ما تغيرت ولا تبدلت وإنما تغيرت الألوان والأوضاع والصور والأشكال والروح تلك الروح . الوزارات والبرلمانات ومجلس الشيوخ والنيابات أشباح تحركها تلك الأرواح وبما يهبط عليها من الوحي والاشارة ، يعمل الجميع لحسابكم لأن الجميع من صنايعكم وقل من يخفى عليه هذا الحال أو يحسب أن هناك استقلال أو أن في السويدا رجال . هذا حال ما تسمونه بالاستقلال ونسميه بالمعنى الصحيح استغلال . وأما قولك ان قصر الملك كان يحيط به ماء الفيضان وأصبح آمناً من الخطر فنحن لا يعنينا قصر الملك وانما يعنينا كوخ الفلاح ـ الفلاح الذي من كد يمينه وعرق جبينه وضرب مسحاته تشيد قصر الملك بل وقصر الكريمات ، أيضاً الفلاح يسكن بيوتاً كالقبور ومن جهوده وأتعابه تسكنون القصور ،

يأكل الرذان (١) والدنان والشعير الأسود وتأكلون العنبر والدجاج والدراج وتلبسون الاستبرق والدبياج ينام على التراب والحصير وتتقلبون على الدمقس والحرير هذا هو الذي في كل عام والى اليوم يغمر الماء زرعه وضرعه وأكواخه ويصبح فقيراً كما كان أو أشد فقراً .

فوائد النفط

أما المال الذي بذلتموه للعراق ازاء النفط هذا العام ووعدتم بزيادته فيما بعد فحقاً انه مال جزيل ولا نريد أن نتوسع معكم في هـذا الموضوع وفوائدكم من هذا الذهب الأسود بل البلاء الأسود الذي أصبح المحور لحروب الدول وتضارب الامم ، وما نسبة ما تعطون الى ما تأخذون لا نريد أن نبحث معكم في شيء من هـذه الشؤون ولـكنكم أنتم تعلمون ونريد أن نفهمكم اننا نحن أيضاً نعلم بأن ما أعطيتموه لنا باليمين استرجعتموه بالشمال ، المال جاء من لندن ورجع الى لندن وأنتم وصنايعكم تعرفون ذلك جيداً فلا حاجة الى شرح اللائحة وتسجيل القائمة . وليت لو كان هناك محاسب فينظر نسبة المقدار الذي يصرف منه لصـالح العراق الى الذي يصرف لصالح الاستعمار من سكك الحديد والميناء والجسور والمباني العسكرية والثكنات وأشباه ذلك وهـل هي حصة العراق إلا كحصة الثعلب والأرنب من فريسة الأسد . وما يفضل فهو قيد الصادرات منها فالجمع منها والجميع اليها ثمانمائة الف دينار دفع العراق لصالح

---

(١) الحب الردي الأسود .

السكك الحديدية ولو صدقنا وآمنا أنكم تصرفونها فهل تصرفونهـــا إلا لمصالحكم ثم هي أثمان ما تجلبونه من بلادكم الواحدة بعشرة .

حقيقة الاستعمار

ولو كان الاستعمار يؤخذ بمعناه الصحيح من الاعمار ورعاية مصالح البلاد وأهاليها لهان علينا بل كنا نرحب به ـ أما إذا كان بالضد من ذلك فنحن نبرأ منه ونكافحه بجميع قوانا ، الاستعمار أصبح عند الدول الغربية بل وعند امريكا التي دخلت الى مدرسة الاستعمار جديداً وتلمذت على الاستاذ الأكبر في الاستعمار عجوز السياسة (تشرشل) ثم أخذت تختلف معه وعليه ، الاستعمار ـ عند هؤلاء كاللص يدخل الدار فيأخذ ما فيها من عفش وفش وصاحب الدار ينظر وليس لديه قوة المدافعة وإذا صاح أو صرخ يخشى على حياته وإذا تضرّع يقول اللص : إني آخذ هذا القش كي اعمّر به دارك وأصونها من الخراب . وإذا ثار أهل الدار وأرادوا اخراج اللصوص قابلوهم بالحديد والنار كما تصنعه اليوم فرنسا فى تونس ومراكش والجزائر ، وكان اللازم عليكم أو على الامم المتحدة أو الملحدة ردعهم عن هذه الأعمال الوحشية البالغة أقصى مراتب الظلم تنعوهم لا رحمة بتلك الامة العزلاء من كل سلاح إلا سلاح إيمانها والاخلاص في الدفاع عن حقها لا رحمة بهم فان الرحمة لا وجود لها فى قواميسكم ولا فى نواميسكم فضلا عن نفوسكم ولكن الكي لا يتسلح بها عدوكم الألد ويشنع بها عليكم عند الامم فان هذه الأعمال الفظيعة قرة

عين له فكيف نكافح الشيوعية وهذه أعمالكم مضافاً الى ما أصاب الناس من سوء سياستكم وجشعكم . فقال السفير : إن أهالي تونس والجزائر ومراكش كانوا فقراء وصاروا أغنياء وغردوا على فرنسا وأما مكافحة الشيوعية فتحصل بنهضة علماء الدين والزعماء الروحانيين وتعلم الشباب وارشادهم وتحذيرهم من هذه المبادىء التي تقلب الأوضاع العالمية فاللازم توجيههم في مدارسكم ونواديكم توجيهاً صحيحاً وثقافة صالحة وتعليماً قويماً لا تقويضاً وتهديماً . فقال له الامام : ما كنت اريد أن أتعرض لقضية التعليم والمدارس والشباب وتعليمه ولكنك ألجأتني الى تطرق هذا الموضوع . فاعلم اني أنشأت هذه المدرسة وجعلت فيها ستة صفوف ويبلغ عدد تلاميذها زهاء الثلاثمائة طالب من الشباب الوديع ولها اساتذة لكل واحد منهم راتب شهري ومدير ادارة والى جنب المدرسة هذه المكتبة التي سوف تراها تفتح كل يوم للمطالعين ولها كاتب وخادم ، وكان الشعب ورؤساء العشائر صالحاً كريماً مكرماً ومساعداً للعلماء وأهل العلم وكانت المدارس الدينية تعيش بتلك المنح والصلات الخيرية وتستغني عن المنح الحكومية وان ماليتها من الامة أيضاً ولكن منذ تغيرت الأوضاع وانقبضت الأيدي عن المعروف والاحسان وفسد أهل المال والثروة أفسدتهم بغداد بملاهيها وزخارفها ولعبت بهم المدنية الخليعة تحرجت قضية المدارس الدينية وانسدت على القائمين بها وعلى تلاميذها وسائل الحياة وكان الواجب على الحكومة أن تسعفها بالاسعافات الكافية التي تغذيها وتحفظ رمق حياتها كي تستطيع أن تؤدي رسالتها وتقاوم تلك المبادىء الخبيثة . تحضر كل سنة فى موسم الامتحان هيئة

رسمية للامتحان وتعطى الدرجات بحضورهم من المدرسين للتلاميذ وكلهم من الشباب الوديع الهادىء فما هي المساعدة لهذه المدرسة من هذه الحكومات المتعاقبة على كراسي الحكم وما هي المنح التي تسعف المدرسة أو المكتبة بها أو التلاميذ . نعم يرد سنوياً من المعارف منحة ضئيلة لا تسد نفقات شهر أو شهرين وأضعف منها منحة الأوقاف وهي المؤسسة الخيرية التي يجب أن تبذل أكبر عنايتها للثقافة الدينية وطلاب العلوم الشرعية والأخلاق الاسلامية أبهذا تريدون أن نربي جيلا صالحاً وشباباً مثقفاً يقاوم الشيوعية ويكافحها . أين العدل والانصاف ، وأين المساواة وعدم الاجحاف . أنتم معاشر الانكليز تقولون : نحن أصدقاؤكم إذن فاللازم علينا معشر المسلمين ألا نحدثكم إلا بالصدق . وأن نصارحكم بالحقائق . وإني صريح ولا احيد عن الصراحة فى كل مقام .

خلاصة الحديث مع السفير الامريكي

وقد زارني قبل أشهر في هذا المكان السفير الامريكي (برتون بري الحالي فى بغداد) مع كاتبه وترجمانه ، دخل المكتبة ثم جلس معي فقلت له : ان الشريعة الاسلامية الجامعة لجميع الفضائل تأمرنا باكرام الضيف وتحية الزائرين والترحيب بالغريب مهما كان دينه وعنصره عدواً كان ام صديقاً ونحن تمسكاً بهذه الآداب نحييك ونرحب بقدومك وبزيارتك وإن كانت قلوبنا دامية منكم معاشر الامريكيين لأنكم طعنتمونا بالصميم طعنة نجلاء لا يمكن السكوت عنها والصبر عليها وكنا نسميكم

أيام عزلتكم في بلادكم وعدم اختلاطكم بالدول الغربية والأخذ من أخلاقها السوداء رجالا مثاليين وملائكة هبطت من السماء الى الأرض لنفع البشر ولكن بعد نكبة فلسطين وتسليط أراذل الوحوش من الصهيونيين على أصحاب البلاد آلاف السنين وإجلاء تسعمائة الف نسمة من الأعزة والأشراف وأرباب النعم والثروة أصبحوا مشردين في الصحاري والقفار يلتمسون القوت وما يستر البدن ويمسك الرمق أذلاء بعد العز ، وفقراء متسولين بعد الغنا والثروة ، وهذه الظلامة والقسوة لم يحدث التاريخ بمثلها حتى من (نيرون) الذي تضربون المثل بظلمه .
فقال السفير لسماحته : هذه امة ضعيفة ظلمها هتلر وشردها من أوطانها فأصبحت بلا وطن ولا مأوى ونحن عادتنا الرحمة والشفقة ننصر المظلوم ونعطف على الضعيف ، فقطع سماحته كلام السفير ، وقد ارتعش من شدة التأثر والغضب وقال : تعساً وبؤساً لهذه الرحمة تنصرون المظلوم بما هو أفظع ظلماً وأشد هضماً تزعمونهم بأن تظلمونا وتسكنونهم في بيوتنا وتشردونا ، هلا أسكنتموهم في بلاد أمريكا وأراضيها الواسعة ثم إذا كان من شيمتكم الانتصار للمظلوم فقد أصبح العرب اليوم هم المظلومون فلماذا لا تنتصرون لهم وترجعونهم إلى أوطانهم وها هي فرنسا حليفتكم وحليفة الانكليز تصب صواعق الحديد الجهنمية على أحرار العرب في الجزائر وتونس ومراكش ظلماً وعدواناً فلماذا لا تنتصرون لهم وتمنعون فرنسا من هذا الظلم الفظيع . فقال السفير : ان هؤلاء كانوا فقراء وبالاحتلال الفرنسي أصبحوا أغنياء وتمردوا على فرنسا فلابد لها من تأديبهم . فقال سماحته : إن هذا منطق غريب فان فرنسا

ما أغنتهم من أموال باريس ومرسيليا فإن صح أنهم صاروا أغنياء فمن بركات بلادهم وخيراتها التي تأخذ فرنسا الألف منها وتعطيهم الواحد . وأهالي المغرب ما اغتصبوا أرضاً ولا نهبوا مالا من هذه الدولة الفرنسية حتى تحاربهم على اخراجهم منها بل هم الغاصبون والناهبون فليخرجوا من بلادهم ويكفوهم شرهم ويتركوا البلاد لأهلها . وهذا الاستعمار الغاشم منكم ومن حلفائكم فرنسا والانكليز هو الذي ارعب الناس وصاروا يفرون منه الى الشيوعية وإلا فأي صفة حسنة في الشيوعية حتى يرغب الناس فيها ويتركوا أديانهم المقدسة ومباديهم الصالحة . فقال السفير الامريكي : إني دخلت الى مكتبتكم هذه فأعجبتني فهل فيها من الكتب ما هو ضدنا ؟ فقال له الامام : ما هو شأن الكتب ؟ وما هو مقدار تأثيرها ؟ بل القلوب كلها ضدكم وتقطر دماً من فظاعة ضربتكم التي قصمتم بها ظهر العرب .

نكبة ضياع فلسطين

أعظم من ضياع الاندلس

وإن قضية فلسطين ومصيبتها الهائلة لا يمكن الصبر عليها والسكوت عنها وليست هي مثل سائر ما اغتصبته الدول العاتية الظالمة من الأقطار الاسلامية كالفردوس الضايع (الاندلس) وأمثالها فإن الاندلس كانت لأسبانيا وبعد ثمانية قرون استرجعها أصحابها السابقون وأكثر الذنب

على ملوك المسلمين فى ذلك العصر ونشوب الخلاف والحروب فيما بينهم فاغتنم العدو الفرصة وقضى عليهم وأخرجهم من تلك الجزيرة بعد أن عمرها العرب وجعلوها جنة من جنان الخلد ولكن يهون الخطب فيها ، إنها ليست من بلاد العرب بل هي واقعة على الحاشية والهامش ، أما فلسطين فهي فى قلب بلاد العرب وهي لهم وبتصرفهم منذ آلاف السنين قبل الاسلام وبعده وليس لليهود أي حق فيها كما برهن على ذلك المؤرخون قديماً وحديثاً وما كان من المحتمل أن تقع فى حوزة اليهود وينشأوا فيها دولة لولا إمدادكم وعتادكم لهم ولولا تخاذل الحكومات العربية حسب اشارتكم بعد ان انتصرت الجيوش العربية وأحاطت بعاصمتهم (تل أبيب) فأسلموا تلك البلاد المقدسة وأهاليها الامة العربية ذات الشمم والشرف التي كافحت الانكليز والصهاينة خمسة وعشرين سنة بأبطالها ورجالها ونسائها وأطفالها من دون مساعدة ولا معين من أي دولة من دول المسلمين حتى عجزت دولة الاستعمار وأذنابها الصهاينة من الاستيلاء عليهم فدبروا لهم تلك الحيلة وضربوهم بنفس الحكومات العربية التي تظاهرت أولا بنصرهم ثم تراجعت بغدرهم وإذا لم يغسلوا هذا العار ويردوا البلاد لأهلها فالمسؤولية العظمى عليهم أولا ثم على الشعوب العربية فى السكوت عن الخائن أعظم من خيانته :

لو كان فينا حياة يا جميل لما ... طالت لدينا حياة الخائنين سنة

عندي سواء لعمري في الخيانة من ... خان البلاد ومن أبقى على الخونة

وأنتم أيها الدولة المتجددة أيها الامريكان قد غلط رئيسكم السابق (ترومان) وتأثر به اللاحق (ايزنهاور) ـ الحاضر غلطة شوهاء ولطخة

سوداء في جبين الشعوب الامريكية يبقى عارها وشنارها عليكم وعلى الانكليز طول الأبد . وإذا لم تتداركوا هذه الغلطة وتخرجوا من هذه الورطة ، فاعلموا يقيناً أن العدو سوف يتغلب عليكم ويبيدكم ويفنيكم وسيعتنق أكثر العالم تلك المبادىء الفتاكة وتنصهر تلك المبـادىء التي تسمونها (دمقراطية) في مبادىء السوفيتية فان كنتم لا ترحمون الناس ولا تشفقون على الامم فارحموا أنفسكم فانكم هالكون إن بقيتم على هذه الحال لا محالة (ولا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) تهلكون أنتم وأذنابكم من الدويلات المربوطة بعجلتكم .

قال السفير الامريكي : نحن كل سنة ندفع ملايين الدولارات لمساعدة اللاجئين الفلسطينيين واعاشتهم . فقال سماحته : ولا كرامة ولا جزيتم خيراً ارجعوهم الى بلادهم وأوطانهم واخرجوا قرة عيونكم اليهود منها ولا تدفعوا دولاراً واحداً للاجئين ولتبق دولاراتكم لكم وفي بلادكم وكل ما تدفعونه مهما كان لا يساوي قرية واحدة من قرى فلسطين التي غصبتموها منهم فضلا عن المدن والعواصم مثل حيفا ويافا وعكا وأمثالها . أيها الناس ان مسلمي فلسطين عرب كرام لا يقبلون الذل والموت عندهم خير من هذه الاعاشة .

ولما بلغ سماحة الامام الى هذه الصراحة فى المحاورة ظهر التأثر على السفير الامريكي والانكسار وقال : لا لا ولا كل هـذا يا شيخ ثم قام وانصرف — ولكن بعد أيام أرسل كتاباً بالانكليزية من مصر يستعطف به سماحة الامام ويقول : إني معجب بتلك الصراحة التي ما رأيتها من أحد وسوف ابلغ ما تفضلتم به الى المسؤلين عندنا .

رجوع الى محاورة السفير الانكليزي

ثم عطف سماحته الكلام على السفير الانكليزي أيضاً وقال له : نعيد الحديث على ما بدأنا فيه من العدو المشترك وكيف يكون التخلص منه والقضاء عليه . فاعلم ان الشيوعية لا يجدي في قمعها ومقاومتها بالقوة والشنق والاعدام فضلا عن السجون والتبعيد والتعقيب الشديد بل هي كحشايش الأرض والزرع كلما حصدته تنمو جذوره وتزداد مهما تكرر الحصاد ، الشيوعية مبدأ ونظام وإن كان مبدأ فاسداً ونظاماً معوجاً لا يقضي عليه إلا المبدأ الصحيح والنظام الصالح أما مقابلته بمبدأ فاسد مثله ونظام فاشل من شكله فلا يقضي عليه ولا يقطع جذوره بل تبقى الحرب بينهما سجالا كر وفر يوم لهذا ويوم عليه حتى يقضي أحدهما على الآخر أو يبقيان في المعركة الى ما شاء الله وقد تفشت وانتشرت أوكار الشيوعية فى العراق حتى دخلت فى بيوت أهل الدين والزعماء الروحانيين بل دخلت في السجون واستهوت المدرسين والتلاميذ ونخشى أن يصبح العراق كايران معتركاً لأهل اليمين واليسار ويجتمع الداءان فيها (وما اجتمع الداءان إلا ليقتلا) الشيوعية وليدة المهلكات الثلاث (الجهل والفقر والمرض) هذه الأمراض التي يعانيها الشعب العراقي وهي التي دفعته الى ذلك الشذوذ والانقلاب الأعمى . كافحوا هذه الأدواء وعالجوها تموت جرثومة ذلك الداء قهراً عاملوا الناس بالصدق والرفق واغرسوا جذور المحبة في قلوبهم بالاحسان اليهم والعطف عليهم تملكون

مودتهم وتأمنون عداوتهم ، عالجوا سرطان الاقطاع الخبيث فى جسم هذه الامة الذي هو أحـد أسباب بل أقوى أسباب جوع الشعب وفقره الغراف والكحلاء والمجر تجري كلها ذهباً أحمر ويتكدس فى خزائن أفراد لايتجاوزون عدد الأصابع والالوف بل الملايين من الفلاحين واهل الريف فى أتعس حال بل المتسولين والسائلين بالأكف أحسن حالا منهم قولوا لهؤلاء الاقطاعيين العشر أو العشرين في العراق :

تشكو صناديقكم ضيقاً بثروتكم — والناس يشكون من جوع ومن ضيق
تودُّ أموالكم لو كنت خازنها — حتى تحرر من أسر الصناديق

جور الحكومات العراقية المتعاقبة

قولوا لهذه الوزارات التي تتعاقب على دست الحكم لايستغلوا نفوذهم السياسي فيتدخلوا في التجارة والأراضي والمضخات وكل وسيلة لجمع الثروة . قولوا لهم يقطعوا دابر الرشوة من الموظفين في جميع الدوائر هذه الآفة التي نشرت كل رذيلة ولم تبق أكثرية الحاكم والمحكوم أي فضيلة وضاعت فيها الحقوق والمقاييس والأخلاق وأعظم سيطرة هـذه الغايلة غايلة الرشوة هي دوائر الشرطـــة ودوائر الري وسرت حتى الى الوظائف ، ولكل وظيفة سعر خاص وسماسرة معينة بل وحتى فى المحطات والمستشفيات وكل الشؤون في كل الدوائر . قولوا لهم يطهروا الجهاز الحكومي من هــذه البلية ومن الشرذمة الفاسدة وذوي الأغراض الكاسدة ، وليطهروا البلاد من مواخير الخمور والفجور ، ويبسطوا

العدل والمساواة في جميع الطبقات ويجتهدوا في نشر الصناعة وتسهيل معدات الزراعة وتشغيل الايدي العاطلة . هذه هي الاصول الجذرية التي تقضي على الشيوعية لا الحبوس والمشانق والتعذيب والتعقيب وأمثالها فانها تزيد العلة ولا تبرد الغلة . وبالجملة أصلحوا أنفسكم حتى يصلح شعبكم وتغلبوا عدوكم .

حديث سماحته مع بعض الموظفين الانكليز

وأظرف من هذه المقابلات وأعنف مقابلته لأحد رجالات الانكليز من الموظفين في بغداد في المعارف للتفتيش وغيره الذين يتقاضون مئات الدنانير شهرياً طلب أن يسمح له سماحة الامام بزيارته فوافى الى داره مساء مع اثنين من قومه ودليل من أهل كربلا ممن له صلة بهم وكان يتكلم العربية قليلا . فقال له الامام بعد التحية والسلام : أنت انكليزي ؟ نعم . الامام حقاً ان الانكليز امة قوية وعنصر نشيط ولها ثقافة عالية وأخلاق فاضلة ، الصدق ، الوفاء ، العدل ، الحلم ، (برودة دم) ، الاحسان ، الهدوء ، الوقار الى غير ذلك من كرم الأخلاق وطيب الأعراق ولكن كل هذا ما داموا في جزيرتهم وبلادهم وعند معاملة بعضهم لبعض أما إذا خرجوا من جزيرتهم أو كانت المعاملة مع غيرهم انعكس كل ذلك وتبدلت كل تلك الفضائل الى رذائل فتجدهم وحوشاً عادية وسباعاً ضارية ، الصدق كله كذب والوفاء كله خيانة والعهود كلها جحود والعدل كله ظلم وقسوة وشاهدي على ذلك أعمالهم في مستعمراتهم كالهند ومصر

والبربر وعدن والمحميات التسع بل العراق وفلسطين وما أدراك ما فعلوا أيام احتلالهم فلسطين بلغت القسوة والظلم بهم بحيث كانوا يقبلون بل ويقتلون العرب بشهادة الكلاب ، يطلقون كلباً من كلابهم في الشوارع فعلى أي باب من بيوت العرب وقف الكلاب نسفت تلك الدار (بالديناميت) واحرقت بالنار هي ومن فيها من الرجال والنساء والأطفال . ثم قال سماحته : هل سمعت يا استاذ بأفحش من هذا الظلم ؟ تأتون الى البلاد وهي آمنة مطمئنة بصفة انكم مصلحون معمرون فتفسدون اخلاقها وتسلبون اموالها وتبذرون بذور العداوة والفتن بين اهاليها وتفرقون بين الأخ وأخيه والمرء وزوجه . وما أفسد هذه الشبيبة الصالحة إلا مدارسكم ومناهجكم وتعاليمكم . فقاطعه الانكليزي وقد اصفر لونه وبرق بصره وقال : يا شيخ ما جئنا لهذا وإنما أتينا للعلم والمذاكرة والأستفادة حيث سمعنا أنك رجل من العلماء . فقال سماحته : نعم . ولكنها الحقيقة يلزم ان تقال ثم قال : إن بعض رجالكم يتخصص ببعض العلوم فهل لك تخصص بعلم من العلوم ؟ قال : نعم أنا متخصص بعلم الحيوان . الامام هذا جميل وفن جليل وقد ألف علماء العرب فيه مؤلفات فائقة فالجاحظ ألف كتاب الحيوان ثلاث مجلدات . والدميري حياة الحيوان مجلدان . قال : نعم . ترجمنا هذه الكتب وعلقنا عليها وأنا مشغول بتأليف كتاب في الحيوان والجمع بين الحديث والقديم . (الامام) اريد أن ابدي لك نصيحة نافعة وأقول : أما فيكم معشر الانكليز من يتخصص بعلم الانسان ؟ ويبلغني أن عندكم وعند الامريكان جمعيات (الرفق بالحيوان) أفلا تعقدون جمعيات الرفق بالانسان . فما هي الانسانية

تعج وتضج الى بارئها من مظالمكم واستعماركم الفظيع الذي جعلتم الانسان فيه أسوأ حالا من الحيوان ، فقام واخذ بيد دليله وقال : اخرجنا وخلصنا من هذا الشيخ لا يأتينا بما هو اعظم ، وهذه هي سيرته وحديثه مع كل من يلقاه من رجال الاستعمار .

وتوسعاً في البيان وتكميلا للفائدة نعلق بعض السوانح التي لها الصلة البليغة بما ذكره سماحته في محاوراته مع تلك الشخصيات البارزة وتكون كالايضاح والتتمة لتلك الأمور المهمة .

الساحة الاولى

مشروع الحاج رئيس التجار لشق ترعة من الهندية الى بحر النجف

سمعت ذات يوم سماحة الامام يحدث : انه بعد ما تمت بيعة المرحوم فيصل ملكا على العراق جاء احد أرباب الثروة الواسعة من ذوي الملايين من الايرانيين وهو الحاج (رئيس) رحمه الله الذي كان شريكاً للمرحوم (معين التجار) في اول مشروع لاسالة الماء إلى النجف الذي أخذته الحكومة بعد ان عاشت النجف بفضل فيضه أكثر من عشرين سنة واجتمع بتوسط المرحوم الحاج محسن شلاش بجلالة الملك فيصل وعرض عليه مشروع جدول (خان الحماد) وقال له : إني مستعد لبذل كل ما يلزم لشق نهر من شط الهندية المقابل لخان النصف ويخترق الصحراء ويصير مبزله بحر النجف فتعمر به جميع تلك الأراضي القاحلة من الجانبين

وتعيش به جملة من عشائر العراق ويكون ريعه جميعاً للحكومة فقط بشرط ان يكون الربع أو الثلث من غلته التي تستوفيها الحكومة تنفقه على العتبات الشريفة كربلا والنجف لتعمير مشاهدها ومساعدة أهل العلم والفقراء من المجاورين فيها والزائرين لها فرحب الملك بهذه المكرمة وتفاءل فألا حسناً لقدومه بهذا المشروع للعراق وحررت المقاولة ووقع الطرفان عليها حسب المراسيم المتبعة وحول الحاج رئيس خمسين الف باون على البنك للشروع في العمل وصنع المهندسون الخرائط ثم توجه الملك وحكومته مع الحاج رئيس واصحابه الى المحل المعين من الفرات الذي هو شرقي الخان ويبعد عنه شرقاً بميلين وكان الرئيس صنع مسحات من ذهب فدفعها الى المرحوم فيصل فضرب بها ارض الشاطي التي تقرر أن تفتح فوهة الجدول منه . ثم ضرب كل واحد من الحضور ضربتين أو ثلاث بمساحي احضرت لهم . ثم رجعوا الى بغـداد مساء اليوم الذي خرجوا فيه على ان يعود المهندسون والعملة بعد اسبوع أو اسبوعين (ينصبوا الخيام) ويرسلوا ما يلزم من الآلات والمكائن لاكمال العمل . ثم تشاور المسؤلون يومئذ فيما بينهم وتحركت النعرة الطائفية وانضمت اليها سياسة الاستعمار بالافقار إذ كان جذر سياسته في العراق سياسة التفقير وفي مصر سياسة الأغناء ، يضرب مصر بالغنا ويضرب العراق بالفقر . نعم تآزرت السياستان المشومتان الداخلية والخارجية وضرب المشروع واحبط وقلبوه من اصله ومات الى الآن حتى ذكره فلا يذكره ذاكر ولا يخطر على بال كما احبط مشروع جامعة (اهل البيت) بعد أن سارت عدة سنوات سيراً حسناً . وكيف يصح أن تبقى جامعة باسم

اهل البيت في بلد كبغداد وان كان ملكها المحبوب من صميم اهل البيت والذوق واللباقة تقتضي المجاملة على الأقل . لا وكلا ! وهذا لا يكون والجامعة يلزم أن تموت ومشروع جدول ما بين النجف وكربلا يلزم ألا يكون مهما كان فيه من المنافع والفوائد للعراق والعراقيين ولحكومة العراق ، هذا كله يوم كان العراق فقيراً يحتاج الى مساعدة الأثرياء مثل المعين والحاج رئيس وغيرهم في مشاريعه المهمة . أما اليوم فقد اصبح غنياً يستوفى من معادن الذهب الأسود عشرات الملايين بل مئات الملايين فلماذا يتغاضى المسؤلون ويغمضون اعينهم عن مثل هذه المشاريع الجبارة التي تحيي العراق وتنعش هذا الشعب الفقير وتشبع وتكسوا هذه الفئة العارية الجائعة وتشغل ايديها العاطلة وتنجيها من الوقوع في حبائل المبادئ الهدامة ، لماذا تصرف هذه الملايين في مصالح الاستعمار فتخرج من لندن ثم تعود اليها والعراق جائع عاري ما عدا أفراد من الاقطاعيين تضخمت اكراشهم من الثروة حتى تدفقت من خياشيمهم وخراطيمهم ؟ هذه الاراضي على كتف الفرات مباشرة من الهندية (طويريج) بل من السدة الى الكوفة كلها صالحة للزراعة ، فلماذا لا تصرف بعض تلك الملايين على عمرانها وشق الجداول أو نصب المضخات فيها فتسق وتحيي مئات بل الوف الاميال من الجانبين الى اقصى الصحراء من المغرب ؟ ولماذا لا يرفعون اعباء الضرائب عن عاتق هذا الشعب البائس بعد أن حصلت لهم هذه العائدات ؟

وقد سمعت سماحة الامام يقول : زارني المغفورله (ياسين الهاشمي) وهو رئيس الوزراء أيام الاضطرابات سنة ١٣٥٥ هجرية مساء في دارنا

بالنجف واستغرق الحديث بيننا زهاء ساعتين فانتقدنا عليه كثرة الضرائب التي ابتدعوها بعد الأتراك فاعتذر بعجز الميزانية وقال : لو أن المستعمرين أو المحتلين يعطونا من النفط اربعة ملايين أو خمسة لما ابقينا ضريبة واحدة على الأهلين ولكن يعطونا بالاسم فقط مليونين يصرفونها على مصالحهم ولا يدخل الميزانية منها شيء . اقول : ليتك يا هاشمي تعود وترى الخمسة ملايين كيف صارت خمسين أوستين مليوناً والضرائب كما هي او زادت والفقر والجوع أشد وأشد لأن الخمسين مليوناً سبيلها سبيل المليونين التي كانت على عهدك ولأن سياسة التفقير والتقتير في العراق كما هي لم تتغير ولم تتبدل وليت في المسؤلين اليوم من يشعر بشعورك ويحمل وطنية مثل وطنيتك . وهذه جملة بل شعلة توقدت في الصدور كاد أن يحترق بها القرطاس والقلم ولا نبالي بعد ان كانت من قلب الواقع وصميم الحق وقلبه أن يرضى بها القوم أو يغضبوا ولكن (ما في الحق مغضبة) كما قيل وقد تورم الشعب بأجمعه من سوء عمال المسؤلين بجميع طبقاتهم من رأس الوزارة إلى ادنى إدارة حتى صار كالجرح الذي تقيح وبوشك أن ينفجر .

الساعة الثانية

سوء التدبير وعمى المطامع أصار فلسطين الى هذا المصير

ما اصيب العرب والامة الاسلامية بضربة اعمت عينها وقصمت

ظهرها ومزقت شغاف قلبها كضربة فلسطين وأوجع وأفجع منها ذيولها ومخلفاتها فقد كان اللازم بعد تلك الصدمة والمترقب ان الدول العربية وهي محيطـة باسرائيل من جميع اطرافها مصر والاردن ولبنان وسوريا والحجاز . نعم كان المنتظر أن توالي هذه الدول شن الغارات كل يوم على اسرائيل وتثور عليها لاخذ ثارها واسترجاع ولو البعض من بلادها التي اخذت منها بالظلم والخداع ولـكن ويا للأسف وماذا يجدي الاسف انعكست القضية وصار اليهود هي تمعن بشن الغارة كل يوم على القرى العربية من الاردن وفلسطين وتخرق خط الحدود وتضرب مقررات الدول العظمى بل تدوسها تحت أقدامها ، وتلك الدول الغاشمة واقفـة وقفة المتفرج بأعينها وتضحك ملء أشداقها وتفرح ملء قلوبها ولا يمر اسبوع إلا ونجد الصحف العربية فى لبنان والاردن والعراق تنشر بالحرف الكبير « اعتداء يهودي » قتلوا مائة أو مائتين من العرب ، نسفوا القرية الفلانية ، احرقوا القرية الاخرى ، قتلوا خمسين طفلا وامرأة ، واسقطوا عشرين جنيناً وهكذا دواليك من أول حدوث النكبة إلى اليوم .

أما العرب فيقابلون كل هذه المظالم التي لا يصبر عليها حتى الحمار وفى المثل « اصبر من الحمار » يقابلونها بالاحتجاج الى هيئة الامم ويشتكون اليها وهي التي أوعزت الى اليهود بذلك تريد إشغال العرب فى الداخل والخارج حتى يأخذوا الغنيمة الباردة ينتهزون الفرصة الشاردة . ولكن العرب لما سلبت منهم فلسطين كأن الله سلب منهم كل غيرة وكل خجل وكل حياء فلا يخجلون أن ينشروا في صحفهم كل اسبوع بل كل يوم

اعتـدى اليهود وقتلوا من العرب كذا وكذا ورفع العرب احتجاجهم الى هيئة الامن أو عصبة الامم أو هيئة الهدنة ، نعم لا يخجلون من تكرار هذه اللهجة السخيفة بعد أن جربوا وعرفوا أن هيئة الامم أي الدول الـكبرى تضحك على ذقونهم وتسخر من ضعف عقولهم ولماذا لا تقابلهم العرب بالمثل والبادىء أظلم والعرب أوسع بلاداً واعظم عتاداً واقوى أجناداً وقرآنهم يقول : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » . اليهود يعملون ويهجمون والعرب يقولون ويحتجون . اليهود يقتلون ويحرقون والعرب يصيحون ويصعقون . نعم العرب لم يبق عندهم من الأحاسيس غير القراطيس . ولا من الحقائق إلا ما تمليه الأقلام على المهارق ، وصاروا كاليهود في اول الدهر « ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله » ، « والقى الله بأسهم بينهم » . هذه مصر ثار أبطالها تلك الثورة الجبارة ولكن ما أسرع ما وقع بأسهم بينهم وشغلوا انفسهم بالمحاكمات والمخاصمات والحـكم بالاعدام والأخذ بالاتهام والعدو على الأبواب كل يوم يشن الغارة على غزة وعلى الحدود ويوشك أن تغتنم هذه الفرصة ويغزوهم في عقر دارهم « وما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا » أفما كان الأحجى ترك هذه المماحكات والمحاكمات وربط المتهمين بالكفالات حتى يدفعوا العدو الخارجي ويأمنوا مكره وشره ، ثم يعودوا الى تصفية الحساب بينهم :

(لا ادري أشر اريد بمن فى الارض أم أراد بهم ربهم رشدا) كان الشرق يرزخ وينوء تحت كابوسين انكليزي وفرنسي ولكن جاءت الدنيا الجديدة باستعمار جديد هو أدهى وأمر ولعل هـــذه الانقلابات

والاضطرابات في ايران ومصر وسوريا وفلسطين من صنايع تلك الأصابع التي لها في كل قطر صناعة ولكل امة بضاعة ووقع الشرق كله في احبولة الاستعمار المزدوج بل المثلث وهيهات ان يستريح الشرق بل العالم كله مادام هذا الجشع الطاغي في هذه الدول الجبارة التي انتزع شيطان المطامع منها كل عدل ورحمة ولكن هذا الطاعون المزدوج يطعن في ابدان تلك البلدان من وراء ستار رقيق أما في فلسطين فقد سلط الصهيونيين ومكنهم وأعانهم وضرب العرب ضربة سافرة مكشوفة بكل وقاحة وصلابة من غير مجاملة ولا مخاتلة ولا يزال الى يومنا هذا يمدهم بالحديد والنار وملايين الدولار كل ذلك نكاية بالعرب وتقوية لعدوهم عليهم والدول العربية بأجمها خاضعة مسخرة يلعب بها ويقلبها كيف يشاء يقدم ويؤخر ويضرب واحداً بالآخر يضرب فرعون مصر بهامان الذي هو من جنده ويقول لهامان : إن لم تخضع لي اضربك بهامان آخر من قومك . وهكذا الحال في ايران ولبنان وسوريا . أما العراق « ففي النهي عن أقل اعتراض » :

ولك الأمر فاقض ما أنت قاض فعليَّ الجمال قد ولاكا

وعند اللزوم فالخطة تلك الخطة والمنهاج ذلك المنهاج . نعم شجون وشؤون وعصايب ومصائب ، ولكن لا كمصيبة فلسطين فانها أذابت الشحم وعرقت اللحم وكسرت العظم .

ومن المبكيات المضحكات (وشر البلية ما يضحك) ان تهجم ليلا عصابة مسلحة بالأسلحة الجهنمية من قنابل ومدافع ونسافات على قرى وديعة آمنة لم تقارف ذنباً ولم تحارب منهم أحداً فيضربونها بالمدافع

ويذسفون تلك القرى ويهلك جميع من فيها تحت الأنقاض من الرجال والاطفال والنساء ثم ترجع تلك العصابة سالمة آمنة لا رادع ولا مانع فهل حدثك التأريخ أو حدث فى العوالم مثل هذه الجرائم فأين العرب وأين الحكومات العربية وأين ميثاق الضمان الجماعي وأين الجامعة العربية التي لم تكن إلا غلاً وجامعة فى أعناق العرب . اذا كانت الغيرة والحمية والشهامة العربية تقتضي : أن تثور العرب صباح تلك الليلة المشومة . وتثور الدول العربية وشعوبها على بكرة أبيها على اسرائيل لأخذ الثار وغسل العار ، فأما ان يبيدوا ويسترجعوا بلادهم ويحفظوا كرامتهم أو يموتوا في سبيل الشرف والكرامة « والموت خير من بقاء العار » . وقد قالوا : « من اهين ولم يغضب لكرامته فهو حمار » . ولكن كأن العرب لا يجدون لأنفسهم كرامة حتى يحافظوا عليها أو يموتوا دونها . وابكي من ذلك وأفجع وأوجع, انهم عادوا الى سخافتهم الاولى وصقاعتهم التي أصبحت (كليشة) فقدموا ايضاً الاحتجاج الى بريطانيا وامريكا ثم انظر ماذا صنعت بريطانيا الام الحنون لليهود قدمت مذكرة إلى الوزارة العراقية احتجاجا على اسرائيل تقول فيها بنصها : ان حكومة بريطانيا تتوقع من حكومة اسرائيل ان تسوق المسؤلين عن هذا الاعتداء الى العدل . انظر صيغة هذه المذكرة واضحك وابك ما شئت . انظر لفظة (تتوقع) حكومة بريطانيا . انظر الى هذه المهازل والمخازي المكشوفة وقل هل عند العرب شعور ، أو هل عند هذه الدول الغاشمة من ذوق على الأقل ومجاملة فضلا عن الرحمة أو العدالة واعجب الى صقاعة ورقاعة هذه الوزارات أو الوزات التي تقدم اليها السفارة هذه المذكرة

ويقنعون بها ولايضربون بها وجوه الظالمين . ولو فعلوا ذلك وأبدوا لليهود ومن مكّن اليهود من بلاد المسلمين ومن ارواحهم وأموالهم شيئاً من الصلابة والتنمر لكان لهم العيار الثقيل عند الدول الغربية ولو جمعوا كلمتهم ووحدوا قوتهم ونضموا عتادهم وعددهم وهجموا على اليهود في فلسطين لوجدوا من الشعوب العربية ارتياحاً عظيماً ولوجب على كل عربي بل وكل مسلم أن يمدهم بكل ما في وسعه من مال ورجال وعدة وعتاد حتى يسترجعوا حقهم ويميتوا هذه الجرثومة الخبيثة التي هي مادة فساد وإفساد في جسم البشر كله فان الأعمال الفظيعة التي ارتكبوها في دير ياسين وغيره وهجومهم على القرى الثلاث في الاردن ليلا بالمدافع التي تنسف الجبال والحصون فكيف بتلك القرى الخاوية والتي هلك تحت انقاضها مئات الأطفال والنساء فضلا عن الرجال . نعم إن فضايح أعمال اليهود خرقوا بها جميع مقررات الدول فالواجب على جميع الدول ابادتهم لا خصوص الدول العربية وإن كان عليهم بالدرجة الاولى ولا شك انهم لو صدقوا أو أخلصوا وتناصروا نصرهم الله وسلطهم على عدوهم لكن بشرط أن لا ينخدعوا لحلفائهم ولا ينصاعوا الى حيلهم ولا يضربوهم بمثل الهدنة التي قصمت ظهورهم (ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين) .

وسماحة الامام منذ سافر الى القدس اجابة لدعوة المجلس الاسلامي الأعلى سنة ١٣٥٠ هجرية ورأى بعينه تكاثر الصهيونية وتكالبهم ومؤازرة الانكليز لهم جهاراً بلا ستار مع قلة المسلمين وضعفهم عدة وعتاداً قبال هذين العدوين الألدين أحس بالخطر والبلاء ولمس بيده موضع الداء فصار يوالي خطبه بالمسلمين ويصرخ فيهم وينـــذرهم بوقوع البلية

ونزول النكبة ويهيب بهم الى الاستعداد والجهاد وحفظ البــلاد وتلك البلاد المقدسة التي هي ودائع السلف الامين الى الخلف المهين . ولو جمعت خطبه التي القاها في القدس وحيفا ويافا وجنين وبيروت ودمشق والبصرة وبغداد وجامع الهنــــدي في النجف ومسجد الكوفة . عدا ما نشر في الصحف من المقالات والفتـاوى والأجوبة لملأت أضخم كتاب وأكبر موسوعة وقد طبع بعضها ونشر ، والأكثر لم ينشر وبتـأثير مقالاته وخطبه وصرخاته أفاق المسلمون واستعدوا للمساعدة والمجاهدة ولولا تدبير الحيلة وتدخل الدول العربية واستلامهم وتسلمهم لنجحت قضية فلسطين ولكان لليهود أضعف قسم منها وكانوا يقنعون بما يعطى لهم وهم أذلاء صاغرون ولـكن سوء التقدير أو سوء التدبير وعمى المطامع أصار فلسطين الى هذا المصير . وما يدرينا فلعل الله يحدث بعد ذلك أمراً ويجعل بعد العسر يسرا .

الساحة الثالثة

مواقف سماحته الاصلاحيه

من الواضح المعلوم أو الذي يجب أن يعلم ان كل ما تفضل به سماحة الامام وجميع ما نشرناه عنه وما ينشره في هذه الصفحات لا يريد به هو دامت بركاته ولا نحن ان نمس من أحد كرامة ، أو نخدش عاطفة ، أو نعترض حكومة ، أو نعارض سلطة ، أو ندعو لا سمح الله الى ثورة

(ويشهد الله وكفى به) ان سماحته ما يريد مما تقدم من محاوراته إلا الاصلاح ولا يقصد إلا النصح والارشاد والنقد النزيه ، والدلالة والتنبيه وهل يحتمل أحد به غير النصيحة والاخلاص ومواقفه الاصلاحية مذشورة وأعماله ومساعيه في قطع دابر الفتن والاضطرابات مشكورة وقد وعاها كل ذي سمع ، وشاهدها كل ذي بصر ، وعرف كل ذي وجدان انه المصلح الأكبر .

إخماد ثورة عشائر الفرات

أيام ياسين باشا الهاشمي

فمن اصلاحاته الخطيرة واقداماته الشهيرة التي حفظ بها الوضع وكاد أن ينقلب رأساً على عقب اخماده ثورة العشائر من الرميثة وبني حجيم وقبائل المجرة وما يحيط بسوق الشيوخ وعشائر الفرات الأوسط (١) على أثر استقالة وزارة فخامة المدفعي وقيام وزارة فخامة الهاشمي الذي ساق الجند العراقي بمدافعه وعتاده لمحاربتهم فحاصروا الجيش في سوق الشيوخ وقطعوا الطريق بينه وبين الناصرية بالفيضان وتوجه اليهم وزير الدفاع جعفر باشا العسكري واجتمع مع زعمائهم فلم يوفق لاقناعهم والجيش في الحصار لا يدري أي ساعة تهجم القبائل عليه فتأخذ أسلحته أو يقاتلهم فيقتل ولم يجد الهاشمي حلاً لهذه المشكلة إلا بايفاد الرسل

(١) عام ١٣٥٣ هـ ١٩٣٥ م .

وتدبير الوسائل الى سمـاحته فأصدر كتاباً اليهم على يد فخامة صالح جبر الذي كان يومئذ متصرفاً في كربلا يتضمن الفتوى بوجوب الـكف عن هذه الأعمال وحرمة المحاربة والقتال مع الحـكومة الاسلامية وقرأ الـكتاب على الجماهير فألقوا سلاح الفتنة فوراً ورفعوا الحصار وانتهت القضية بسلام . وقد تعقدت واستمرت حوادثها المؤلمة عدة شهور وذلك بعد توقيع زعماء القبائل على الميثاق الوطني لسماحته ولا مجـال لبسط سلسلة هذه الحوادث التي تحتاج الى أفرادها بكتاب مستقل وإنما الغرض التنويه عن بعض مواقفه الاصلاحية وتأثيره في المجتمع العراقي وإطفائه نار الفتنة التي تكاد تقضي عليه .

إخماد فتنة الحصان

ومثلها بل أعظم فتنة (الحصان) وما كاد ينشر كتابه (العروبة فى الميزان) الذي يتضمن فى خلاصته (١) : إن شيعة العراق كلهم ساسانية وأجانب ويلزم طردهم من العراق ما كاد يصل الى النجف حتى أضربت عام طبقاتهـا وتعطلت الأعمال واغلقت الأسواق واشتعلت نار الثورة حتى سرى الاضراب الى عامة مدن الفرات كالحلة والديوانية والناصرية وغيرها واجتمع في النجف كثير من أعراب القبائل التي حولهـا وتوالت (الهوسات) وكثير منهم يريد الفوضى للنهب و « الفرهود » واستمر

(١) ١٣٥١ هـ ١٩٣٣ م .

هذا الحال ثلاثة ايام والحكومة المحلية في أشد الاضطراب لا تدري متى تقع الضربة عليها وكان الحاكم الاداري يومئذ المرحوم السيد جعفر حمندي فراجع المتصرف وهو يومئذ المرحوم محمود أديب فتوجه مع رشاشتين وما في كربلا من الشرطة فما وصلوا الى النجف إلا واشتد هياج النجفيين والجماهير المحتشدة فيه وكانت بأجمعها مسلحة فحاصروا المتصرف بالسراي مع كل ما هنالك من الشرطة وعموم الموظفين وكان ضجيج الجماهير وعجيج النفير وأصوات الطلقات قد ملأ الفضاء وشق عنان السماء واستغاث السيد جعفر حمندي بأكابر العلماء يومئذ فخرجت جمهرة من أهل العلم والأعيان والوجهاء الى الصحن الشريف وكلما حاولوا إقناع الجماهير الثائرة وتهدئة الحال وإقناع أقطاب الحركة بالركون الى السكون لم يفلحوا وعادوا بالخيبة والفشل وكان سماحة الامام من بدء الحادثة قد احتجب في بيته ولم يدع سبيلا لأن يزوره أو يقابله أحد من الناس مهما كان وبعد أن استولى اليأس على رجال الاصلاح من رجال الحكومه وغيرهم توسلوا ببعض الوسائل الى مقابلة سماحته واستغاثوا به قائلين : احقن دماءنا واحفظنا وإذا لم تتدارك الموقف فالعراق كله ينقلب الوضع فيه ويفلت منه حبل الأمن وتدور الدائرة عليه وقد اخفقت الوسائل كلها ولم تبق إلا وسيلتك فنهض من فوره الى الصحن الشريف وقت الزوال فوقف على ضفة أيوان وأمر الناس بالهدوء والسكون وأن ينتظروا الى ساعتين بعد الظهر فيصعد المنبر ويشرح الحال لهم فسكنوا وهدأت الحال قليلا ثم صعد المنبر قبل الغروب بساعتين وبقي يخطب فيهم كالسيل المنحدر من اعالي الجبال ويبرهن على خطأ هذه الخطة ومضرات هذه

الحركات وانها تعطي عكس الغرض المقصود وما نزل عن المنبر حتى فتحت الأسواق بأجمعها وعادت المياه الى مجاريها ولم تسفك قطرة دم ولا نهب قيراط مال ورجع أهل الأطماع الى منازلهم خائبين ورفع الحصار عن السراي وزار المتصرف محمود أديب سماحة الامام ليلا شاكراً له ورجع الى كربلا صباحاً وارسل سماحته الخطيب اليعقوبي الى شريعة الكوفة يأمرهم بفتح الأسواق واخماد الثائرة وأرسل آخرين الى الجماهير الثائرة في البلدان الاخرى حتى استقر الوضع كما كان . وكان المرحوم الملك (فيصل) يريد السفر الى لندن وعاقه عن ذلك حدوث هذه الغائلة التي أقلقته وأقلقت حكومته وكانوا يفكرون في علاجها الذي استعصى عليهم فأتاح الله لهم الفرج والمخرج بلا عنى على يد ولي من أوليائه وانكشفت الفتن عن العراق بأوحد علمائه وكتب له المرحوم فيصل كتاباً يشكره فيه شكراً جزيلا ثم سافر الى اوروبا وهي سفرته الأخيرة التي استشهد فيها تغمده الله برحمته ورضوانه .

ابطال العادات المزعجة

في العشرة الاولى من شهر ربيع الأول

وكانت بالنجف وكربلا وغيرهما من بلاد العراق وأريافه وقراه عادة هي من أسوأ العادات يعمل فيه العوام والجهلة أفظع المنكرات جهاراً وهي العشرة الاولى من ربيع الأول يضربون فيها (الطَرَقات

والمفرقعات) التي تشبه أصواتها المزعجة أصوات المدافـــع في الأزقة والشوارع وبين أرجل العابرين وأكثر ما يقع الضرب في الصحن الشريف وعلى قبور العلماء وعند رأس الامام امير المؤمنين عليه السلام ويسمون هذه الأيام تاسع ربيع وعيد الزهراء ويزعم أوباشهم ان كل منكر فيها جائز ويؤذون الغرباء من طلاب العلم وأهل المدارس بكل اهانة وأذية وقد استمرت هذه العادة السيئة من عشرات السنين بل المئات حتى تمكنت ، وفي كل سنة يزداد شرها وويلاتها ويشترك الرجال والأطفال والنساء في التكالب عليها والعمل بها ولا يستطيع من أهل العلم والصلاح معارضتها وانكارها والردع عنها . فلما رأى سماحته ان البلاء قد تعاظم وتفاقم وانه مسؤول عند الله بسكوته استشار بعض السادة الأبرار والمؤمنين الأخيار في تصديه للمنع عنها فأنكروا عليه أشد الانكار وقالوا : هذه عادة تمكنت من نفوس هؤلاء الرعاع من عهد بعيد ولا يمكنهم الاقلاع عنها ونخشى لو صعدت المنبر لتمنعهم عنها يرمون بالطرقات وأنت على المنبر وتكون البلية أعظم . فقال : إني متوكل على الله تعـالى وأضحي بنفسي فان نجحت فلله الحمد والمنة وإلا أكون قد اعذرت وخرجت من المسؤولية فاعلن اني اصعد المنبر في الصحن الشريف عصر اليوم الثالث أو الرابع من ربيع الأول وقد شرعوا بأعمالهم والطرقات والمفرقعات تهز الدور والصحن هزاً كأنها الصواعق وكم من حامل اسقطت وكم مريض بضعف القلب أو بمرض آخر قضي عليه ، فصعد المنـبر وخطب زهاء ساعتين والصحن مشحون بالمستمعين من مختلف الطبقات فكان له من التوفيق في سحر البيان وبليغ الخطاب ان اقتنع الجميع بضرر هـذه

الأعمال وحرمتها وانقلعت جذور هذه العادة السيئة من اساسها وماتت بكل شؤونها ولم يبق لها أي أثر وليس هذا التأثير الخطير والنفوذ البليغ على النفوس المستعصية والقلوب المتحجرة لكونه عالماً فقيهاً أو مرجعاً مقلداً كلا فالمقلدون كثير والعلماء أكثر ولكنها موفقية ومنحة اختصه الله بها ولعلها منبعثة عن صدق الاخلاص والاتصال بالمبدأ الأعلى والانقطاع اليه فيفيض من ينابيع الطافه ما يفيض عليه .

وما لنا نذهب بعيداً وكفانا شاهداً على ما نقول من انه مؤيد بعناية خاصة ـ الفتوى ـ التي أصدرها قبل بضعة أشهر على أثر المظاهرات العصبية التي وقعت فى وزارة فخامة العمري والتي اضطرتها الى الاستقالة وتشكلت الوزارة العسكرية وزارة « نور الدين محمود » التي اغلقت ابواب الأحزاب وسدّت جملة من الصحف وغشت على منهج الأحكام العرفية ولكن المظاهرات والشغب والمناورات قائمة على قدم وساق وسرى الاضراب ولغط الأحزاب الى خارج بغداد كالحلة وكربلا وصار أشده فى النجف فتعطلت بها الأعمال واغلقت الأسواق واشتبك المتظاهرون فى بغداد وكربلا مع الجيش والشرطة وذهب ضحايا كثيرة من نفوس الأبرياء ومن الشباب المتظاهر ومن الشرطة والجيش وبعد يومين أوثلاث من اشتعال نار الفتنة بالنجف جاءت مفرزة من الجيش عليها المقـــدم (نصرة القيسي) مع مقدار من الرشاشات نصبوها على ابواب الصحن وفرقوا الجند على الابواب فاشتد الهياج والحماس من المتظاهرين في النجف وكانوا قد تألفوا من ثلاث عناصر (١) الشيوعية وهو أكثرها وأشرها . (٢) الأحزاب الذين يريدون قلب الحكومة وتغيير الوضع .

(٣) الهمج الرعاع وأهل الأطماع الذين يريدون النهب و « الفرهود » والاصطياد في الماء العكر وفي الليلة الثامنة من ربيع الأول اجتمع قادة الحركة في بعض اوكار الشيوعية وقرروا أن يحملوا على الجيش صباح تلك الليلة ويأخذوا أسلحته وإذا امتنع قاتلوه والجيش لا يزيد على ثلاثمائة نفر والمتظاهرون لا ينقصون عن عشرة آلاف وبات الكثير من أهالي النجف في أشد الخوف والاضطراب وكيف تنتهي تلك الزوبعة العاصفة والطامة الكبرى وخرج المتظاهرون بعد طلوع الشمس من شوارع متعـددة بأناشيدهم وأعلامهم واندفع الوجهاء وأهل العلم الى دار الامام كاشف الغطاء مستغيثين به أن يتدارك الأمر قبل نزول البلاء وجاءته الرسل من الحكومة المحلية التي اسقط ما في يدها ولا تدري ماتصنع والجيش حول الصحن لا يدري متى يؤخذ وقد اندلع لسان الشر وبلغ الشرر الى عنان السماء ولو تمزق الجيش في النجف تمزق في جميع العراق . وفي اثناء الزوابع كانت بغداد وكربلا في أشد الاضطرابات مشغولة بنفسها معنية بالمحافظة على داخليتها ولم تجد في هذا الظرف العصيب بداً من استنهاض عزيمة سماحته لتدارك هذه النازلة نخابره بعض الوزراء ملتمساً منه بذل مساعيه لاطفاء النائرة وداره مكتظة بالعلماء والأعيان وفي وسط هذه الزوبعة والهياج أخذ القلم وأصدر الفتوى بحرمة محاربة الحكومة ومضاربة الجيش باسلوب مؤثر نفذ الى اعماق الشعور وقلب كيان القلوب وأخذه المنادي وصعد به الى أعلى المأذنة (المنارة) وقرأه في المكبرة وأذاعه المؤذنون في عدة مواضع فهدأ الضجيج وسكنت الأجراس وارتدت الأنفاس وكأن ماء من السماء انصب على تلك النيران فأطفاها . وما

أصبح اليوم الثاني إلا وقد فتفتحت الأسواق وانتشر الأمن وعادت الحياة الى مجاريها وبقي الجيش في النجف بعد ذلك أكثر من اربعين يوماً معززاً مكرماً يصنع النجفيون له الولائم والدعوات الى أن سافر ولم يفقد منه نفر واحد في حين أن الضحايا في غير النجف بغير حساب . هذه نبذة يسيرة من مواقفه الاصلاحية .

بسم الله الرحمن الرحيم

فتوى سماحة الامام الأكبر

الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء

ما يقول سماحة الامام آية الله في الأنام الامام كاشف الغطاء في الأوضاع التي حدثت هذه الأيام في العراق عموماً وفي العتبات الشريفة خصوصاً وما حكمها من حيث الشرع وما هو الواجب فيها على المسلم وما تكاليفه ازاءها بيّنوا الحكم الشرعي عنها لرفع الحيرة عن المكلفين ولا برحتم ملجأ يلجأ اليه في المهات وكشف المعضلات :؟

الجواب

لا ريب ان الشعب العراقي منذ مدة متذمر من الأوضاع العامة التي ضاق بها الخناق وكادت النفوس أن تبلغ التراق وصار الجميع يتطلب اصلاح الوضع من سائر الجهات وخاصة من ناحية الترفيه وضمان المعيشة ورفع البطالة وتشغيل الأيدي العاطلة وله الحق بكل هذا . ولكن الأصلح والأنجح والأصوب والأقرب الى بلوغ الغاية المقصودة والضالة المنشودة والفائدة المتوخاة ان تكون المطالبة سلمية بالطرق المألوفة من دون ارتكاب ما يخل بالأمن ويستوجب الازعاج وسلب راحة العموم فان المطالبة بالتعقل والروية أبلغ في نجاح القضية .

فيا أولادي النجباء في النجف بل في عامة العراق أدعوكم بدعوة الحق جل شأنه أن تخلدوا الى الهدوء والسكينة وأن لا تتكاسلوا عن طلب الاصلاح وتعديل الأوضاع ولكن بالطرق المعقولة والأساليب القويمة البعيدة عن احداث الشغب والفوضى الموجبة لاغلاق الأسواق وتعطيل الأعمال ولا سيما في العتبات المقدسة المشحونة في هذه الأيام بالزائرين من أقاصي البلاد فاذا اغلقت الأسواق لم يجد هؤلاء المساكين الى القوت سبيلا وربما هلك بعضهم من الجوع ومثل هذا حال الكسبة الضعفاء الذين لو تعطلوا يوماً واحداً عن الكسب والعمل باتوا وأطفالهم وعيالهم ساهرة عيونهم ، خاوية بطونهم يتطلعون الى رغيف من الخبز فلا يجدونه فما ذنب هؤلاء الأطفال والعيال إذا اغلقت الأسواق وتعطلت

الأعمال ، فالله الله يا عباد الله في اخوانكم وأهاليكم ونواميسكم فكلكم راع وكلكم مسؤول والواجب من الله عز شأنه على كل مسلم أن يسعى دائماً في حفظ الأمن والسكينة والطمأنينة كما يجب عليه أيضاً أن يسعى في طلب الاصلاح من الطرق المشروعة القريبة الى النجاح إن شاء الله ، وحرام والف حرام تضارب الأهالي مع الجيش فان الجيش من الأهالي والأهالي هم الجيش فاللازم اصلاح الوضع واخماد نار الفتنة بالتفاهم وبروح المودة والأخاء .

يا أبناء العراق النجباء برهنوا باستقامتكم ورزانتكم على كفاءتكم وأهليتكم وإنكم صالحون مصلحون بعيدون عن الوحشية والهمجية والرضى بالفوضى الممقوتة عند جميع الشعوب .

خذوها يا أولادي النجباء الأعزاء نصيحة من أب بار مشفق نسأله تعالى لكم السعادة والتوفيق جميعاً والسلام عليكم من الأب الروحي .

النجف ـ حرر بتاريخ ٨/٣/١٣٧٢ هـ .

محمد الحسين آل كاشف الغطاء

أما أعماله العمرانية للعلم والثقافة

فهي أيضاً كثيرة منها : تشييد مدرسة جده الأعلى كاشف الغطاء وهي أول مدرسة اسست في النجف وفي ايام الحرب الاولى هدمت ولم تبق غرفة واحدة منها قابلة للسكنى وبقيت على ذلك زهاء ثلاثين سنة وفي

سنة الخامسة والخمسين شرع فى اعادة بنائها وأسكنها عدداً من الغرباء المهاجرين لطلب العلم من ايران والافغان والهند وتبت ثم خص جناحاً منها للشباب العراقي فى ستة صفوف وعين لهم مدرسين ومدراء وادارة وكاتب ولكل واحد منهم راتب شهري وامتحان فى كل سنة بحضور هيئة رسمية من القاضي وضابط التجنيد والمدرسين ويعطونهم الدرجات في الامتحانات وأنشأ بين هذه المدرسة وبين جامع أجداده ومقبرتهم الذي جدد تعميرها أيضاً وصرف عليها أكثر من الف دينار أنشأ محلاً واسعاً وبناية مرتفعة نقل اليها جميع ما ورثه من أسلافه من الكتب الأثرية وأضاف اليها ما تحصل له فى أسفاره الى سوريا وايران وغيرها وما يشتريه من المطبوعات الجديدة والمؤلفات العصرية وجعلها مكتبة عامة تفتح كل يوم لعموم المراجعين والسواح الأجانب ولها معتمد وكاتب وكل هذه النفقات الباهضة يعاني في تدبيرها أشد العناية ولم يساعده في انشاء تلك المعاهد ذات النفع والفوائد ولا فى مصارفها الشهرية واليومية أي مساعد لا من الحكومة ولا من الأهلين إلا منحة ضئيلة من المعارف سنوياً وأضعف منها الأوقاف وقد كانت مأتين فى السنة فأنزلها بعض المتولين على هذه الأوقاف الى مأة دينار لا يكفي مصرف شهر واحد ولما تعين معالي الاستاذ العاني متولياً لمديرية هذه المؤسسة وهو من الرجال المتضلعين فى العلم والثقافة الاسلامية وله سابق معرفة وصداقة خاصة ايام حاكميته فى النجف مع سماحة الامام ومعرفة واسعة بالمدرسة وشؤونها وعجزها ورفعت اليه القضية فلم يصنع شيئاً ولم يكن منه أي مساعدة مع ان بعض المنشآت والمعاهد في بغداد تمنحها الأوقاف عشرات الالوف من الدنانير

وليس لها غناء هذه المدرسة ولا ذلك الاثر في التربية ، أفليس من الواجب لصالح العراق وناشئته تعزيز هذه المؤسسات الثقافية في بلدة كالنجف محط أنظار الامم من المسلمين على اختلاف مذاهبها والأجانب على تنوع عناصرها ، أفليس من اللازم على كل من ينشر كتاباً أو ينشيء صحيفة أوديواناً أو يطبع مؤلفاً أن يهدي نسخة منه لهذه المكتبة القيمة العامة النفع لكل صادر ووارد يتعطش الى مناهل العلم من العراق وخارجه . أما كان من أهم وألزم واجبات الحكومة بذل العناية البليغة لهاتين المفخرتين للعراق « المدرسة والمكتبة » في مثل هذا البلد المقدس الذي يزوره مئات الالوف في كل سنة من الشرق والغرب فهل من الحق والعدل أن يقوم بكل هذه الأعباء الثقيلة رجل واحد والملايين من الدنانير يصرف أكثرها في التوافه وفيما ليس فيه أي فائدة للعراق وأهله وكل مؤلف صدر عن النجف وعن ادبائها وعلمائها وعن الحلة وشعرائها والحيرة وملوكها فهو من هذه المكتبة يستمد وعليها يعتمد ، وعلى غيرها وسميرها وعبقائها وحصونها وعيونها يستند .

المؤلفات

(أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها) وفي خبر مشهور . أو مثل مأثور : « من غارهم تعرفونهم » وكتاب المرأ دليل على مقدار عقله ، وما برحت الامامية تضع قيادتها ومرجعيتها العظمى في التقليد وزمام زعامتها العليا في الدين عند أكبر فقهائها واعلم علمائها المجاهدين من

المجتهدين ويعرفونه بمقدار معارفه ويتعين من كثر انتاجه ، وسطع منهاجه ، وتوفرت مؤلفاته لا في الفقه والاصول فقط بل في عامة العلوم وجميع المعارف والفنون خاصة فن الدعوة والتبليغ وأساليب الهداية والارشاد ، ودفع الشبهات عن المبادىء الاسلامية المقدسة ، ورد مطاعن المبشرين عن القرآن العظيم والسنة النبوية والدفاع عن عاصمة العصمة وبيضة الاسلام اولئك هم امثال الشيخ المفيد والسيد المرتضى والشيخ الطوسي ونصير الدين الطوسي والمحقق والعلامة والشهيدين والبهائي الى السيد بحر العلوم وكاشف الغطاء وكاشف اللثام وأمثالهم من مراجع الامامية وأساطين الطائفة ولكل واحد منهم العشرات بل المئات من المؤلفات في شتى العلوم الاسلامية من التفسير والحديث والدراية والرجال بل علوم العربية من اللغة والنحو والصرف والبلاغة والمعاني والبيان والرياضة كالحساب والهيئة والهندسة وامثالها بل ليس المجتهد الا من استكمل جميع ذلك وإلا فهو اجتهاد أبتر وأعلاه ما كان مشفعاً بتلك القوة بالأدب الذي تحصل بممارسته ملكة الخطابة والبيان التي يستطيع بها المرجع الأعلى التأثير على النفوس والسيطرة على العقول وتركيز الايمان والعقيدة كالطبيب الماهر الذي يعالج النفوس من امراض الشكوك والشبهات ونزعات الجحود والالحاد وتهذيبها من الأخلاق الفاسدة والرذايل المهلكة وأعلى مراتب هذه الملكة القدسية ملكة الخطابة التي كان رقيها القياسي عند النبي والائمة المعصومين سلام الله عليهم راجع جوامع كلماته صلوات الله عليه ونهج البلاغة وخطب فاطمة الزهراء وزينب الحوراء والحسن والحسين عليهم السلام فلكل واحد من هؤلاء

الأنوار من الخطب البليغة ما يدهش الألباب ويحير الأفكار ، وعلى ضوء هذه المصابيح مشى الامام كاشف الغطاء وامتاز من بين اعلام عصره بل واعلام سائر العصور كما تشهد به خطبه الارتجالية الباهرة التي ابرزت بعضها المطابع كالخطب الأربع وخطبة (الاتحاد والاقتصاد) في جامع الكوفة وخطبة فلسطين التأريخية وخطبة جامع الهندي وغيرها .

أهم مؤلفاته

فقد خفقت رايات مفاخرها في الخافقين وتجاوزت عبر البحار الى العالم الجديد وبلغت التسعين أو زادت وقد طبع الكثير منها (مرة أو مرتين) بل طبع بعضها أكثر من عشر مرات وترجم الى عدة لغات واول ما نشر وظهر من مؤلفاته الرائعة كتاب (الدين والاسلام) جزءان طبع في بغداد مرة سنة ١٣٢٨ ﻫ وصودر بوشاية من المفتي الشيخ سعيد الزهاوي عند الوالي الشهير ناظم باشا ثم اعيد طبعه سنة ١٣٣٠ ﻫ في صيدا ولو قال أحد انه لم يكتب مثله في نوعه لم يكن مغالياً ومطالعته أكبر شاهد ، ثم المراجعات جزءان طبع في بيروت وصيدا ثم في الأرجنتين من امريكا ، ومن أبرز مؤلفاته التي اخذ بحظ وافر من الاقبال والقبول (أصل الشيعة) الذي طبع في صيدا مرتين وفي القاهرة والنجف عدة دفعات وترجم الى الفارسية وغيرها وطبعت الترجمة مرتين .

والميثاق العربي طبع منه اربعة آلاف نسخة ونفد ، والأرض

والتربة الحسينية ، والسياسة الحسينية ، والتوضيح جزءان طبع مرة في مصر واخرى فى بغداد و (الآيات البينات) أربع رسائل رد البهائية والوهابية والطبيعية .

ومن أجلّ انتاجاته العلمية الغزيرة الينبوع الحافلة بالمادة المشحونة بالقواعد العامة في المعاملات ودقائق التشريع في الفروع الفقهية كتاب (تحرير المجلة) خمسة اجزاء ، (وسفينة النجاة) اربعة اجزاء ، ومؤلفه الأخير اللامع (الفردوس الأعلى) طبع فى سنة تأليفه مرتين في النجف ثم في تبريز .

والذي لم ينشر من مؤلفاته كثير أعظمها وأهمها (دائرة المعارف العليا . » وبالجملة » فان لكل ما يرشح به قلمه ، أو يلفظه فمه ، تأثير بليغ ونفوذ عميق والعيان خير برهان فهو أطال الله عمره من نوابغ الدهر وعباقرة الخلود ، ومثالي منقطع النظير لا يدانيه أحد فى مزاياه في قليل أو كثير واليه يجب أن تنتهي زعامة الامامية بل الزعامة الاسلامية . وإذا تولى زعامة الامة من ليس بأهل لها انهدّ كيانها وتداعى بنيانها ولم تجد الخير في شيء والى هذا يشير الحديث .

لا قدست امة قدمت فى دينها رجلا وفيها من هو أفضل منه .

وتجد على مؤلفاته مسحة إلهية ونفحة قدسية ولها تأثير عميق فى النفوس وغذاء شهي للعقول وعلى كثرة مؤلفاته لم يجد أحد فيها مجالا للنقد أو محلا للاعتراض على كلمة من كلماتها أو قضية من قضاياها وهذا قلما يتفق لأحد .

أسفاره

ذكر سبحانه فى كتابه الكريم السفر والسير فى الأرض والهجرة في سبيل الله وطلب الخير والسعة فى دين أو دنيا أو علم أو مال ، قل سيروا في الأرض وانظروا إلى آثار رحمة الله إن الذين آمنوا وهاجروا قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة .

فأول سفر وهجرة فى الاسلام بعد هجرة [illegible] المسلمين الى الحبشة هجرة رسول الله (ص) الى المدينة وكانت هجرة مباركة ميمونة أحيي الله بها الامة العربية بل أحيي بها الامم وأيقظ بها العالم ولم يزل سلام الله عليه يوالي أسفاره فى غزواته داعيـاً الى الله وباذلا نفسه في سبيل الله وفي توحيد كلمة الله حتى تركزت دعائم الاسلام وانتشر النور وانقشع الظلام ثم استمر الائمة وأعاظم العلماء على الهجرة والسفر وشد الرحال لطلب العلم والتبليغ والارشاد وازهاق الباطل واحقاق الحق وكانت الرجال تشد الرحال من أقصى المغرب الى أقصى المشرق للاستفادة من الأساتيد وحملة العلم ولم تزل السياحة فى الأقطار لحفظ الآثار والعظـة والاعتبار مستمرة عند المسلمين فى جميع الأعصار ، ولا سيما فى هذه العصور وقد استفاد اخواننا العرب من أهالي لبنان وسوريا من الهجرة الى الولايات المتحدة والأرجنتين أعظم الفوائد علماً ومالا وأدباً ثم استفادوا وأفادوا أوطانهم واخوانهم جهد امكانهم وكم نبغ فيهم من أديب عبقري

وشاعر ساحر ، وصحافي وطني ، وحر غيور فان الدنيا الجديدة صقلت مواهبهم ونشطت عزائمهم وشحذت هممهم وانارت عقولهم وفتقت قرائحهم فصاروا في الرعيل الأول من قافلة الثقافة والتمدن الصحيح وقد جرت قديماً وحديثاً سنة العلماء على الهجرة وأدرك بها بعضهم الزعامة الدينية في هذه الطائفة وقد هاجر الشيخ الطوسي من بلاده الى بغداد ثم الى النجف وكان العلامة الحلي يسافر ومعه المدرسة السيارة وسافر الشهيدان من سوريا الى العراق ومصر وايران عدة أسفاره ، وأسفار الشيخ البهائي وسياحاته في الآفاق مشهورة ، وسافر الشيخ الكبير كاشف الغطاء الى الحجاز ثلاث مرات والى خراسان وعموم عواصم ايران كالأهواز وشيراز وتبريز وطهران وغيرها عدة أسفار وله في أكثر هذه العواصم والقرى احاديث ونوادر يتناقلها الخلف عن السلف وكان كل القصد والهدف منها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكرات التي كانت شايعة في ايران من الصوفية الزائغة عن الصراط المستقيم المتطرفة في رفض الفرائض والنهج القويم كان له الأثر العظيم في تقويمهم وتعليمهم ونشر ألوية العلم والعدل وردع سلاطينهم عن التمادي في الجور والظلم ، وألف كشف الغطاء في بعض أسفاره الى ايران وهو في الطريق وليس معه من الكتب سوى قواعد العلامة على ما نقله في الروضات .

وقد تأثر به حفيده سماحة الامام فسافر عدة أسفار كلها في خدمة الدين وفي سبيل حماية الاسلام ورد الملحدين والمبشرين ونشر مؤلفاته الباهرة وأول أسفاره من النجف الى بغداد سنة ١٣٢٨ هجرية وفي

السنة التاسعة والعشرين سافر الى الحج غرة شوال وبعد أن فرغ من مناسكه عرج على دمشق وبقي فيها وفي بيروت زهاء شهرين ثم القى عصا السير في صيدا واستفرغ وسعه واستوعب وقته لطبع مؤلفاته فى مطبعة (العرفان) للاستاذ الفاضل الشيخ احمد عارف الزين فطبع جزءين من الدين والاسلام وطبع في بيروت الجزء الأول من المراجعات الريحانية والثاني في صيدا وساعد وأشرف على نشر عدة نفيسة من كتب الأدب النادرة كالوساطة للقاضي الجرجاني وسحر بابل ومعالم الكتابة ومغانم الاصابة وديوان السيد الحبوبي وله على كل منها تعاليق لامعة وشروح نافعة وبهذا السفر تعرف به الفيلسوف الريحاني وتناوبت بينهما تلك المراجعات البديعة ، وفي سفره الى الحج كتب رحلته التي أسماها (نزهة السفر ونزهة السمر) وبعد لم تطبع ثم سافر من صيدا الى القاهرة وبقي فيها أكثر من ثلاثة أشهر وحضر على أكابر علمائها كشيخ الأزهر (الشيخ سليم البشري) وكان معمراً تجاوز التسعين ومفتي الحقانية العلامة المحقق الشيخ محمد بخيت المطيعي يقول سماحته : لم أجد في مصر عالماً محققاً مثله بمباحث اصول الفقه عصراً في جامع رأس سيدنا الحسين عليه السلام والتفسير بين المغرب والعشاء في الأزهر وله مؤلفات كثيرة طبع أكثرها وكان سماحة الامام بعد الفراغ من درس شيخ الأزهر بالتماس جماعة من طلبة الأزهر يباحث فى الفقه مرة وفي الفصاحة والبلاغة اخرى وتجتمع فى حوزة درسه الجماهير وقد لمسوا منه علماً جديداً واسلوباً طريفاً ومنهم القاضى الشرعي في هذه الآونة الاستاذ احمد محمود شاكر ، ودراسة النجف وان كانت تشابه دراسة الأزهر من ناحية

ولكنها تختلف عنها في نواح كثيرة .

وكان سماحته مدة توقفه بمصر يهجم على نوادي التبشير التي تنعقد كل ليلة في كنيسة من كنائس الامريكان ومدارسهم ويعترض على الخطيب المبشر ويرد عليه مطاعنه على النبي « ص » وعلى القرآن في أثناء خطبته بمحضر جماهير المستمعين من النصارى والمسلمين وفي إحدى الليالي التمسه القسيس الأكبر أن يقطع المعارضة حتى ينتهي خطيبهم من برنامجه المقرر ويفسح له المجال بعد ذلك للجدال ، وبعد أن فرغ ذاك من خطابته تقدم سماحته الى منصة الخطابة وفنّد كل مارمى به الاسلام من الافتراء وأخذ في نقد مذهب النصارى وذكر أن أساسه يبتنى على أمرين : أحدهما مستحيل عقلا وهو التثليث (ثلاثة أقانيم) إله واحد والواحد بالضرورة لا يكون ثلاثة والثلاثة لا تكون واحداً إلا على التركيب والوحدة الاعتبارية ، والتركيب يقتضي الفقر والامكان وهو ينافي الوجوب .

أإله مركب ماسمعنا بإله لذاته أجزاء

فأين هذا من دين الاسلام دين التوحيد الخالص شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صار عبداً فصار رسولا بالعبودية .

وثانيهما خرافة لا تقبلها بسايط العقول : وهي أن لا إله سلط عباده الأشقياء على نفسه فصلبوه ليكفر خطيئة أبيهم آدم وخطيئات بني آدم ثم صار ملعوناً لأنه قال : ملعون كل من يصلب على الخشبة كما هو النص في الأناجيل ثم أفاض في ذكر مثالب الأناجيل وسخافة ما فيها من المهازل التي أشار الى بعضها في كتاب (التوضيح) الذي طبع

جزؤه الأول فى القاهرة ، والثاني فى بغداد وبينا هو منحدر كالسيل في هذه الأساليب جاء اليه أحد أكابرهم ، وقال : يجب أن تنتهي لأن الوقت هنا محدود وقد تجاوز الحد فلم يعبــأ به وبقي مستمراً في خطابه فكبسوا على زر الكهرباء واطفأوا المصابيح وصار الناس فى ظلام دامس يسحق بعضهم بعضاً وأحاطت النصارى به ووقعت عليه تريد الفتك به وما نجا إلا بلطف من الله تعالى ، وبعد اللتيا والتي خرج من الكنيسة التي كانت أكبر نوادي التبشير وخطيبها منصور القبطي المشهور عندهم ونجا من الخطر وعزم على مغادرة مصر آخر صفر سنة ١٣٣١ هجرية فالتمسه الشيخ محمد بخيت المفتي على البقــاء الى نصف ربيع الأول كي يشاهد مراسيم الحفلات التي تقام فى عيد المولود النبوي وهو من ايام القاهرة الزاهرة وتقصده السواح من اوروبا وغيرها وفى آخر ربيع قفل الى صيدا وفي اواخر رجب رجع الى العراق وبدأت الحرب العــامة وسافر خلالها الى الكوت للجهاد وقد حوصر الانكليز فيه والقائد يومئذ خليل باشا وبعد الاحتلال شارك في الحركات الوطنية فى حصار النجف الأول ، والثاني كان من أكبر العاملين والساعين فى تشكيل الحكومة الوطنية وفي ديوانهم ودارهم الكبيرة كانت تعقد الحفلات والاجتماعات من الوطنيين لاختيار الملك المرحوم فيصل وبتوجيه المغفور له المرحوم والده الشيخ علي كاشف الغطاء الرئيس الروحاني النــافذ الكلمة اتفق الجميع على طلبه من الحجاز وتتويجه .

وفي سنة الخمسين بعد الألف والثلثمائة هجرية وهي السنة التي توفي والده المرحوم في أولها ، وردت اليــه الدعوة من المجلس الأعلى في

(فلسطين) لحضور (المؤتمر الاسلامي) ليلة المبعث فلبى الدعوة وسار ليلة اول رجب ، وضربت الخيام خارج النجف وخرج العلماء والافاضل وجميع الطبقات لمشايعته وسارت معه أكثر من ثلاثين سيارة الى بغداد ونزل الحسينية الكبرى في الكرخ وبعد ثلاثة ليال خطب في احداهن خطبة ارتجالية استغرقت ثلاث ساعات بحفل حاشد ثم سار الى القدس واستقبله سماحة المفتي وجميع العلماء والأعيان ، ونزل في تكية البخارية التي يتولاها الشيخ يعقوب البخاري بجوار المسجد الأقصى ثم تتابع مشاهير علماء الاسلام الذين دعتهم اللجنة التحضيرية المؤتمر من الاقطار الاسلامية من الغرب والشرق وبالاخص من مصر ، والشام ، ولبنان ، وبغداد ، والهند ، والحجاز ، واليمن ، وايران كالعلامة السيد حبيب العبيدي مفتي الموصل ، والسيد محمد زبارة ممثل امام اليمن ، والسيد رشيد رضا صاحب المنار ، والمرحوم الشيخ نعمان الاعظمي ، وبهجت الأثري ، والواعظ حسن رضا ، وفخامة ضياء الدين الطباطبائي رئيس وزراء ايران سابقاً ، وشوكت علي الهندي ، والشاعر الشهير اقبال الهندي الساكن في لاهور وغير هؤلاء من أعلام علماء الاسلام وقد بلغ عدد أعضاء المؤتمر زهاء مائتين ، ثم تواردت الوفود من قبائل فلسطين ، والاردن ، والعواصم الكبرى مثل حيفا ، ويافا ، ونابلس ، وجنين وغيرها حتى بلغ الجميع سبعين الفاً اجتمعوا كلهم في المسجد الأقصى وامتدت صفوف المصلين الى خارجه وبعد الفراغ من المغرب ارتأى كبراء ذلك الحفل أن يرقى المنبر أحد أعضاء الوفد ويخطب في ذلك الجمع ويشغل فراغ الوقت بين المغرب والعشاء ، وبعد المداولة وقع الاختيار على سماحة الامام

فأتاه سماحة المفتي الحسيني ، ومفتي نابلس (الشيخ محمد تفاحة) وكان من أكبر علماء فلسطين سناً وشهرةً وصلاحاً ومعهما المراقب في المسجد الأقصى وطلبوا أن يصعد المنبر ويخطب فاعتذر بعدم الاستعداد ولاسيما في مثل هذا الحشد العظيم الذي يرتج فيــه على أفصح البلغاء مع التهيؤ والاستحضار فكيف مع المفاجأة ، فلم يسمحوا له بالمعذرة ولم يجد بداً من الاجابة فرقى المنبر وذلك الحفل الحاشد كله أبصار شاخصة اليه وآذان صاغية له ، والحق انه موقف رهيب يخرس من هيبته كل خطيب ولـكن لانقطاعه الى الله جل شأنه وطلب المعونة منه أفاض الله عليه ففتح خطبته بقوله تعالى : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله » . واستمر يفيض بسحر البيان حول قوله عز شأنه : « باركنا حوله » . وذكر أنواع البركة وشرحها بشرح وافي ثم قال : ومنها هذا الاجتماع الخطير من الجم الغفير من مختلف الأقطار النائية والذي لم يخطر على البال ولم يقع في التصور واستوفى ما هو الغرض منه وما الهدف الذي يرمي اليه والآثار التي ترتبت عليه ، ومضى على هذا في مدة ساعة ونصف يرتجل الكلمات البليغة ارتجالا ويوالي بين المعاني المبتكرة سجالا لم يقف ولم يتلعثم في ذلك الحفل الرهيب حتى جاء وقت العشاء ولوحوا له بذلك ولولا مزاحمة الفريضة لاستمر في خطابه الى ما شاء الله ، ولما انحدر من ذروة المنبر اجتمع أكابر الجمع يشكرونه وقالوا له : قد تقرر بتصويب الأكثرية أن تكون أنت الامام والجميع يقتدي بك في جميع الفرائض اليومية ما بقينا في القدس فتقــدم وصلى بهم صلاة العشاء واقتدت به

الالوف من الصفوف وصار حدثاً تأريخياً لم يسبق له نظير ولم يتفق ان علماء الاسلام جميعاً على اختلاف عناصرهم ومذاهبهم اتفقوا على الاقتداء بامام من الامامية مع تباعدهم عن هذه الطائفة من اول يوم الاسلام الى هذا اليوم ، وكانت له ضجة في الآفاق وصدى بعيد في العالم وحسبت له الدول الغربية أكبر حساب وأذاعته فى ساعته الصحف البرقيـــة ، (واللاسلكية) كررته وغيره .

ثم خطب أيضاً خطبته التاريخية أثناء انعقاد المؤتمر التي طبعت عدة مرات ولا توجد نسخة منه فعلا في المكتبات ، وبعد خمسة عشر يوماً أمضاها في القدس تجول فى ضمنها فى حيفا ، ويافا ، ونابلس ، قفل راجعـــاً الى جنين ، وصور ، وصيدا ، فبيروت ، فدمشق ، وبغداد ، وفي كل منها تقام له الحفلات والدعوات والهتافات ، ويصلي بهم ويخطب فيهم بعد كل فريضة واستقبله رتل من السيارات من النجف ، وكربلا ، وبغداد ، والى الفلوجة ، والرمادي ، ونزل أيضـــاً في حسينية الكرخ الكبرى واجتمع الجماهير فيها ليلا وفيهم جمع من العظماء والوزراء والأعيان والصحافيين والادباء وخطب خطبة بليغة استغرقت خطبته ساعة واحدة استهوى بها الألباب ، وخطب فى الليلة الثالثة خطبته استغرقت ثلاث ساعات ، وفي الليلة الرابعة من شهر رمضان ورد كربلاء وخطب فى دار السادة الكرام آل الشهرستاني فى اجتماع عظيم خطبة عظيمة .

وفي الليلة الخامسة ورد النجف وجلس لوفود التهاني فى دار آبائه الكبيرة عدة ليالي وتليت غرر القصائد وقد أبدع الشعراء فى تهانيه

وانفتقت قرائحهم بهذا الفتح المبارك والظفر الكبير وقد جمع من أحسن ما قيل فى تلك الحفلات من قريض وزجل أكثر من عشرة آلاف بيت وأشادوا وأجادوا فى الاشارة الى امامته واقتداء علماء المذاهب فى المسجد الأقصى كقول الاستاذ اليعقوبي من قصيدة غراء .

قد قدموك أمامهم بصلاتهم   علماً بأنك فى الأنام إمام

وقبله قال معالي الاستاذ محمد رضا الشبيبي من قصيدة أبدع فيها كل الابداع :

تقدم إماماً فى العلوم مصلياً   وقل لصفوف العالمين بي أئتمي

ويقول من جملتها :

رسى هضبة حلم الحسين محمد   فقل هو بحر العلم أوهضبة الحلم
مليك ولكن بالجلال متوّج   وان مثل العليا بصورة معلم
تطرف يسعى للمكارم جده   ولم يتكل فيها على الجد والعم

وفى العاشرة من شهر رمضان أقام له سيد الأشراف المرحوم السيد محمد علي آل بحر العلوم حفلة باهرة فى المسجد الهندي وخطب سماحته فى الجماهير أروع خطبة . وفى شوال أقام له أهالي شريعة الكوفة احتفالا فى المسجد الأعظم مسجد الكوفة حضره أكابر العلماء والوجهاء من النجف والكوفة ، وخطب الخطبة العالية (خطبة الاتحاد والاقتصاد) التي طبعت أكثر من مرة ونفدت .

وفى السنة الثانية والخمسين بعـــد الألف وثلثمائة سافر الى ايران لزيارة ثامن الأئمة سلام الله عليه ، وهي أول أسفاره الى ايران فى زمن البهلوي (رضا شاه) الذي طلب ملاقاته واجتمع بسماحته وخطب فى كل

بلدة بعد صلاة الجماعة واقتداء علمائها به مثل كرمانشاه ، وهمدان وغيرهما وعاد من خراسان الى طهران ثم منها الى قم وقام بضيافته المرحوم آية الله الشيخ عبد الكريم اليزدي وقدمه ليلة لصلاة الجماعة فى محله بالصحن الشريف وخطب بعد الصلاة أيضاً خطبة اعجب بها علماء قم كل الاعجاب ، ثم عرج على اصفهان واصابته نكبة تردي السيارة من الجبل فى طريقه الى شيراز فبقي فيها المعالجة أكثر من شهرين فى دار السيد الجليل السيد الرضوي وصلى فى جامعها الأعظم مسجد الوكيل يوم وفاة الأمير سلام الله عليه واقتدى به جميع علمائها وأهاليها ومن حولها من القرى وصلى بهم ايضاً صلاة عيد الفطر وخطب فيها أيضاً بالفارسية والعربية خطبة طويلة .

وفى أوائل ذى القعدة خرج من شيراز الى كازرون ، ثم بوشهر وأبحر منها الى المحمرة وعبادان وبقي ثلاثة ايام فى المحمرة ، وصلى وخطب فيها وفى حسينية عبادان ، ثم توجه الى البصرة فأغلقت أسواقها وهرعت على بكرة أبيها لاستقباله الى حدود ايران وفى طليعتهم المرحوم الشيخ عبد المهدي المظفر ونزل فى داره وصلى ، وخطب فى مسجد المقام ، وثانية فى جامع الامام وقد طبعتا الخطبتان ضمن الخطب الاربع ثم توجه فى القطار الى الناصرية ، وصلى وخطب فى جامعها فى ضيافة الوجيه الحاج طالب ومثل ذلك فى الديوانية ، والحلة ، والنجف .

وفى سنة السادسة والستين سافر الى (كرند) القريبة من قصر شيرين حدود العراق وكان فيها مسجد لم يبق من آثاره إلا تل من التراب فسعي فى بنائه وتشييده أحسن بناء وما خرج من البلد حتى

صلى فيه جماعة عشرة أيام وجاء من أهالي كرمانشاه جمع غفير من تجارها وأخيارها يحملون الأعلام بالتهليل والتكبير قبل طلوع الشمس من يوم عيد الفطر فصلى بتلك الجماهير صلاة العيد وخطب بالفارسية أبدع خطبة وصنع لهم وليمة غداء فاخرة صاحب المكارم الزعيم أمير احتشامي ورجعوا مساءاً الى كرمانشاه .

وفي سنة التاسعة والستين سافر السفرة الثالثة الى ايران لزيارة الامام ايضاً وكان في الذهاب بضيافة السيد النجيب السيد صالح الشهرستاني ، وفي الاياب عند العلامة سيد العراقين واحتفى به جلالة الشاه الحالي حفاوة بليغة .

وفي سنة السبعين سافر للعلاج والاصطياف الى لبنان ، وكان في رعاية معالي الزعيم احمد بك الأسعد .

وفي سنة الاحدى والسبعين وردته دعوة علماء باكستان وتكرر الطلب والكتب أكثر من ثلاث مرات ، وبما انها دولة اسلامية حديثة رأى من الواجب أن يلبي طلبها ويجيب دعوتها فشخص على وهنه وكبر سنه وضعف بدنه وتوفر اشغاله الى بغداد ومنها الى البصرة ومنها بالطائرة الى كراجي فاستقبله في المحطة أكابر علمائها ثم خطب في مؤتمر العلماء تلك الخطبة العصماء التي ترجمت الى سبع لغات في الهند وطبعت بالعربيه وكان لها أكبر الأثر في عموم الهند ، ثم رغبت حكومة باكستان اليه أن يتجول في كبرى بلدانها بضيافتها فتوجه الى (لاهور) ثم الى (راول بندي) ثم الى كشمير الحرة (مظفر آباد) ثم الى (بشاور) ثم عاد الى كراجي ، ومنها الى البصرة فبغداد ووصل الى النجف بعد

اربعين يوماً وإنما ذكرنا هذه النبذة الوجيزه من أعماله ومؤلفاته وأسفاره ومساعيه المتوالية في خدمة الشرع وسدانة الدين وتحمل الأعباء الثقيلة التي نهض بها منذ اربعين سنة أو أكثر وامتاز بها عن أقرانه في تلك العصور التي اكتضت بالعلماء الأعاظم ومشاهير المراجع وإنما ذكرنا ذلك على اختصاره وطي تفاصيله وأطواره لنقول الكلمة التي نجد لزاماً علينا أن نقولها وهي ان من يتقمص النيابة العامة والزعامة الدينية العظمى يلزم أن يكون من المجاهدين في حماية حوزة الاسلام والذب عنها مهما كلفه ذلك من العناء والتضحية بروحه وبراحته ووقته وماله ، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما .

ويقول سبحانه : « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » . والدعوة الى الخير هي الدعوة الى العقايد الحقة ودفع الشبهات التي تنحل عقدة العقيدة وحماية القرآن والاسلام من المطاعن وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فيراد به الأمر بالواجبات والنهي عن المحرمات فهاتان هما دعامتا هذا الدين والقيام بهما وظيفة العالم الرباني الذي له النيابة العامة والمرجعية الكبرى وتعرف أهليته لذلك بأعماله وآثاره ومآثره فان كانوا يعرفون فما بالهم يسكتون والساكت عن الحق شيطان أخرس وإن كانوا لا يعرفون فلماذا يدعون ولا يعترفون ومن ادعى ما ليس له أو جلس مجلساً ليس بأهل له أكبه الله على منخريه في جهنم كما في الحديث ونحن في عصر ألزم ما يجب فيه نهضة العالم الى الجهاد والكفاح والسهر على تصحيح العقائد الاسلامية وتركيزها في العقول وبعث المسلمين الى العمل بنواميس هذا الدين بالأساليب البليغة

التي هي أبلغ من الحجج والبراهين وبهـذه المناسبة ونظراً لما طفحت به جداول الصحف العراقية في هذه الآونة من قضية المرأة والوفد النسائي وطلب حقوقهن السياسية والانتخابية أحببت أن استطلع رأيه في هـذا الموضوع لأدلي به الى الشعب العراقي النجيب تكميلا للفائدة إن شاء الله ، قال سماحته دامت بركاته بعد عرض السؤال عليه :

المرأة

وهي الشطر الأكثر والصف الأوفر من المجموعة البشرية ولهـا حقوق ولها واجبات وعليها مثل ذلك وقد عنيت الشريعة الاسلامية بها عناية فائقة وأعطتها من الحرية ما لم تعطها ملة من الملل ولا دولة من الدول ولها في الكتاب الكريم سورة باسمها خاصة من كبريات السور (سورة النساء) مقدمة على (سورة المائدة) بل وربع القرآن أو أكثر في أحكام النساء الايصاء بالعطف عليهن ورعاية حقوقهن وتحريم إعضالهن وايذائهن أو أخذ شيء منهن دون رضاهن أُمّاً تارة وزوجة اخرى وأُختاً ثالثة ومطلقاً رابعة وجعل لهن من الحقوق مثل ما للعنصر الآخر فقال تعالى : « ولهن مثل الذي عليهن » . أما صاحب الشريعة فقد جاء بأوسع من هذا في حقهن فجعلهن وداثع الله وأماناته وقال : انها حبيبة نفسه من الدنيا وقرنها بالصلاة وهي قرة عينه ، وكان يجد للمرأة أعظم الحق كيف لا ! وأول من نصره على نشر شريعته وقبول دعوته وبذل النفيس ،ل والنفس في سبيل نصرته ، هي المرأة تلك المرأة الصالحة الجليلة

والعاقلة النبيلة ذات الثروة الطائلة التي تتجر بأموالها قريش كعمال عندها ، تلك التي كان النبي (ص) يحن اليها كما ذكرها بل ربما كان يبكي تلهفاً عليها ووفاءً لها ويقول : نصرتني حين خذلني الناس ، وصدقتني حين كذبني الناس ، وآوتني حين طردني الناس ، الى كثير من أمثال هذا مما يشهد بأن الشريعة الاسلامية وشارعها الأعظم قد جعل للمرأة أسمى مقام وأعلى منزلة في المجتمع ولا نريد أن نستوفي هذا الموضوع كما هو حقه ولو أردنا أن نعطيه حقه لزمنا أن نؤلف كتاباً يستوفي ذلك وإنما ذكرنا هذا من باب التمهيد والمقدمة والذي نريد أن نقوله : إن الله سبحانه حين برأ الخلق ونشر البشر على هذه البسيطة جعل الانسان يحتاج بعضه الى بعض ولا يمكن أن يقوم بكل شؤونه بنفسه منفرداً كما تعيش البهائم والوحوش في الغابات والصحاري ، فهو اجتماعي الوضع ، مدني بالطبع ، كله يقوم بحاجة كله ولذلك جعل الأعمال بين البشر موزعة والوظائف على الكل مجتمعة لكل من الجنسين أعمال تخصه لا يجوز بل لا يقدر أن يتعداها ويتجاوزها الى غيرها فكما جعل من خصائص النساء بالفطرة والغريزة الحمل والولادة والرضاع كذلك خصها بأكبر عمل وأشرف وظيفة وهي التربية ، نعم جعل النساء للتربية تربية طيبة تشرف بها بذور البشرية فتنميها وتربيها حتى يشتد عودها وتمتد غصونها وتثمر الثمر الطيب الجني جعل النساء معملاً جباراً ينشيء الأطفال ويربي الرجال وينتج الفتيان والفتيات والاخوة والأخوات وهذا المعمل الكبير الذي أوجده الحكيم القدير هو الذي بصلاحه تصلح المجموعة البشرية وبفساده تفسد الانسانية كما ان بفساد الأرض والتربة يفسد نباتها وبصلاحها يصلح

ريعها ويطيب زرعها واول مدرسة للأولاد والبنات حضن الامهات وبمقدار ما عندها من الكمال والنجابة والفضيلة أو فساد الأخلاق والسقوط فى الرذيلة يكون لذراريها ويسري الى بناتها وبنيها ، وعلى ما تعطيه من روح الطموح وعلو الهمة وشرف النفس ينشأ الولد وبذلك التوجيه الأول يعظم أو يصغر ، ويخبث أو يطهر ، وما أجود ما قيل : « إن التي تهز المهد بيمينها تهز العالم بشمالها » . كانت فى العرب مربيات صالحات نجيبات يغرسن فى نفوس الأطفال بذور الأخلاق الفاضلة قبل أن يسقط فى حمأة الرذائل القاتلة (التعليم في الصغر كالنقش فى الحجر) . كانت الام تنهى ولدها ابن خمس سنين عن الكذب والسرقة وأمثالها وتضرب له الأمثال الصالحة والحكايات المنفرة له عن ذلك وتروي له أمثال قصة الولد الذي سرق وهو صغير بيضة من داره أو من بيت جاره فعلمت بذلك امه فلم تردعه بل ربما حبذت له فتمادى في هذه الخصلة السيئة حتى سرق خزانة الملك وتكرر ذلك منه حتى حكم عليه بالشنق ، فلما أوقفوه لدى المشنقة سألوه ماذا تريد ؟ قال : احضروا لي امي فلما احضرت قال لها : اخرجي لسانك : فعضه حتى كاد يقطعه وقال : هذا هو الذي أصارني الى هذا المصير . ولو أنك أنكرت علي يوم سرقت البيضة ولم تحبذي لي لم أقع بهذه الجريمة وتروي لطفلها للتحذير من الكذب قصة العبد الكذاب الذي القح الفتنة بين قبيلتي الزوج والزوجة حتى تقاتلا واريقت الدماء بينهم مضافاً الى ما يجتهدن فيه من تلقيح أذهان الصبيان بالعقائد الحقة من التوحيد والنبوة وتعليم احكام دعائم الاسلام كالصلاة والصيام والنظافة والنظام وهذه هي الوظائف والأعمال التي خص الله بها

النساء فقد جعل لها البيت وادارة البيت وتدبير المنزل ، والبيت كله هو الدنيا كلها وهل الدنيا إلا البيت والأسرة التي تتكون من البيت وتنشأ في البيت وبتربية ربة البيت ، البيت للمرأة وعلى المرأة وخارج البيت للرجل وعلى الرجل . أساس الدنيا كلها المرأة وسياسة الدنيا كلها للمرأة ومن المرأة ، قل لي بربك أي وظيفة أكبر من هذه الوظيفة وأي مهنة أسمى من هذه المهنة الشريفة ، تريد المرأة أن تأخذ أو تعطى حقوقها السياسية ، فهل تريد أن تكون مديرة ناحية أو حاكمة ادارية وما الى ذلك والباري جل شأنه يريد أن تنشيء مدراء صالحين ، وحكاماً اداريين صحيحين ، تريد المرأة أن تكون عيناً من الأعيان أو نائبة من النواب ونحن نريدها ترتق ماتفتقه المجالس النيابية وتفتح ماتغلقه النوادي العيفية تريد هي أن تدخل في معامع السياسة وزوابع الرياسة وهل السياسة اليوم إلا الخداع والمكر والكذب والغدر وخيانة الامة والمساومة على الوطن وخدمة المستعمرين والتمرغ على أعتاب الظالمين وفيها يقول داعية الحق ابن عبده رحمه الله : « لعن الله الساسة والسياسة وكل ما يشتق منها » . أفسدت السياسة عقول الرجال وهو العنصر الصلب الحصيف ، فكيف لا تفسد النساء وهي العنصر اللطيف ، الذي يعبر عنه بالقوارير لرقته ولطافته وسرعان ما يتصدع ويتأثر ، ولأول صدمة ينتثر ويتكسر ، أيها الحرائر النجيبات المهذبات البقيا على انفسكن لا تدخلن فيما دخل فيه الرجال من التكالب على الكراسي والوظائف ، والتهالك على هذا الشرف الزائف ، وقد شاء الله لكن المقام الأسمى من الخدمة في تدبير المنزل وتربية الأولاد وإذا أردتن التوسع في الخدمة للمجتمع وتكوين

الأسرة فأمامكن مجال واسع للعمل ولعل من أعظم الأعمال الصالحة والخدمة الانسانيـة عموماً ولأخوانكن من الجنس اللطيف خصوصاً ان تنهضن نهضة جبارة لتطهير النساء من سوأة العهر والبغاء انتشلن تلك الفتيات التي اسقطتها الصروف والظروف فى مهاوي تلك المهالك وسلكت بها أرذل المسالك . فقد فسدن وأفسدن جمهرة من الشباب وقذفتهم في أوبئة الأمراض الفتاكة . أليس تشكيل الجميات وعقد المؤتمرات لمكافحة هذه الموبقات أنفع وأرفع من المطالبـة بالحقوق السياسيه والدخول في المناصب الادارية والقضائيه ، فسد الرجال وانغمسوا الى أذقانهم بكل رذيلة وما كفاهم ذلك حتى سحبوا النساء واشركوهن معهم فصرن يشربن المسكرات ويرقصن في الحفلات ويلعبن القمار ويركبن العهار وكما يستعمل الرجال بعضهم بعضاً استعملت النساء ذلك فيما بينهن فاذا كانت هناك نساء صالحات طاهرات تريد الخدمه والنفع العام فليطهرن الجهاز النسوي من هذه الجرائيم المهلكة التي انتشر شرها وعم ضررها حتى قيل لي انه ما من بيت من بيوت الموظفين فى بغداد بل وفي غيرها إلا وفيها عدة من آلات القمار والخمار والشراب والكثير من غير الموظفين قد اقتدوا بهم (والناس على دين ملوكهم) ، (فلولا كان من القرون قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد) أما البقية من هذا القرن فهم يأمرون بالفساد ، يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ، والحكومة بجميع طبقاتها من رأسها الى ذيلها تمدهم وتساعدهم كيف لا ! وكل هذه الفظائع والفجايع والجرائم والمآثم التي ترتكبها الامم الاسلاميـة هي قرة عين المستعمر وأعظم شرك له فى استعبادهم وامتلاك بلادهم هذه الجمور

والملاهي التي شاعت في بلادنا أكثر مما هي في بلاده ، يسلب بها عقولنا وأموالنا ويفسد بها أجسامنا وأحلامنا ، أيتها النسوة المثقفات الرقيقات الشفيقات أما تأخذكن الشفقة والرقة على هـذه الامة التي تصنع بأنفسها ما لا يصنع العدو بعدوه ألا تتفجعين وترثين لما أصاب هذه الامة من البلاء الذي تجنيه على نفسها وهل هذه الامة إلا أبوك أو اختك أو ولدك أو ام لك يا هل ترى لو ان احداكن رأت اختها والنار قد علقت بأذيالها أفلا تفزع وتجتهد لاطفاء تلك النار مخافة أن تحترق وها هي الشعوب العربية قد اصبحت في آتون من الرذائل ومن المستعمرين تحترق فيه ولا تحس ولا تشعر (لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون) وكانت الآباء والامهات يجتهدون فى تربية أولادهم من الصغر على الآداب والأخلاق الفاضلة والعفة والنزاهة أما اليوم فعلى العكس المطرد . وإذا نشأ الفتى أو الفتاة ورأى أباه وامه يدمنون على معاقرة (الويسكي) والبيرة واخواتها ويسكرون ويقامرون ويتراقصون رقص القرود فماذا يكون حال هؤلاء الأطفال وكيف يكون مصيرهم وهم ودائع الله عندنا وأمانتـه لدينا ونحن مسؤولون عنهم ومحاسبون عليهم . أفليس من المؤسف بل المتلف أن تقول جمعية النساء والامة بمثل هذا الحال الشائن فتطالب بحقوقها السياسية ولا تجتهـد في نيل حقوقها الأخلاقيـة واصلاح أحوالها الأدبية ، أما السياسية فأقول ولا برحت أقول : « انهـا جمرة نار أحسها ولا ألمسها ، نار أراها ولا أغشاها » واريد أن أضرب لكن مثلا أيها الحرائر النجيبات تأخذن منه درساً للعظة والعبرة .

كان في صدر الاسلام وبدء اشراق أنواره على العالم امرأة من النساء الجليلات التي تحتل أسمى مركز فى الاسلام لما لها من الصلة الوثيقة والرابطة الوشيجة بصاحب الشريعة وقد أحاطها سيد الأنبياء بهالة من التكريم والجلالة ، ونشأت في بيت الوحي والرسالة ، واسمعها الذكر المبين وصدع صفاة قلبها قائلا : « يا نساء النبي لستن كأحد من النساء . . » « وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى » وأنذرها النبي وحذرها غير مرة أن تزلق فى تلك المداحض وتقع في هوة تلك الحفائر قائلا : أيتكن تنبحها كلاب الحوأب ، ثم التفت اليها قائلا : لا تكونيها أنت يا فلانة ومع كل هذه القوارع والانذارات استهواها بعض الرجال لمآربهم وساقوها وسيلة لاغراضهم واركبوها جملا يسمى (العسكر) وساقت الجنود والعسكر فغلطت تلك الغلطة الشنعاء التي أحدثت أول معركة في الاسلام تقابل فيها جيشان من المسلمين وقاتل كل منهما الآخر حتى اريقت الدماء وراحت ضحية هذه الغلطة زهاء عشرون الف من فوارس المسلمين ورجال الفتوح الاسلامية وخيرة اصحاب النبي (ص) منهم طلحة والزبير (وهما ما هما وما ادراك ما هما) وهذه الحادثة المشومة هي التي فتحت باب محاربة المسلم لأخيه وسنت حروب أهل القبلة وقتال المسلمين بعضهم مع بعض ولم يكن قبل ذلك ثم تسلسلت الحروب الاسلامية من ذلك اليوم حتى تطاحن المسلمون في حروب دامية ومجازر ذهب بها من أبطال المسلمين وشجعانهم فى ثلاث سنوات أو اربع أكثر من مائتي الف فارس عدا ما هلك من الأموال والنساء والأطفال ، ولو أن هذه المدة والعتاد توجه

الى خارج الثغور الاسلامية لاستولى المسلمون على كل هذه الكرة برها وبحرها وارضها وسمائها ولكن تدخل المرأة فى معمعان السياسة هو الذي اوجب هذا الخسران العظيم والضرر الفادح على المسلمين في الأموال والأنفس والثمرات هذا وهي تلك المرأة الكاملة زوجة أكرم نبي وبنت أكبر خليفة في بيت النبوة وارتضعت من افاويق الفتوة فما ظنك بغيرها من النساء الواهنات لو دخلن في دهاليز السياسة المظلمة الملتوية ولججها العميقة وفلواتها السحيقة ، فكم يكون لها من الأخطاء والأغلاط والفتوى التي لا يمكن رتقها .

نعم سارت تلك الامرأة الجليلة ضجيعة رسول الله وحبيبة خدره وحبيسة بيته سارت أو سيروها من الحجاز الى العراق الى البصرة ومرت في اثناء الطريق على ماء أو موضع نبحتها كلابه فسألت عن اسمه ؟ فقال لها اهله النازلون فيه : اسمه (الحوأب) فذكرت كلام الصادق الأمين لها ورأت بعينها صدق نبوته فارتعدت فرائصها وعزمت على الرجوع فدبر المسيرون لها شاهدين شهدوا أن هذا ليس هو ماء الحوأب فكانت أول شهادة زور حدثت في الاسلام وغلب عليها خور الطبيعة وضعف العزيمة اللتان هما جبلة في النساء غالباً فصدقت سمعها وكذبت بصرهـــا ونسيت الخبر المشهور (ليس الخبر كالعيان) واستمرت على سيرها حتى وقعت الواقعة وكان المسببون لهذه الفتنة واللذان اشعلوا نارها أول ضحيتين أو جزورين نحرا فيها وصح المثل (من حفر بئراً لأخيه أوقعه الله فيه) ونظم شعراء ذلك العصر ما جريات هـــذه النكبة المفجعة واستنكروا أن تسعى الام لهلاك أولادها . وخطر على بالي أن الجاحظ

روى في كتاب الحيوان بيتين بديعين للسيد وهما :

جاءت مع الأشقين في لمة تقود (١) للبصرة اجنادها
كأنها في فعلها هــرة من جوعها تأكل أولادها

وليس من غرضنا شرح هذه الحوادث المؤلمة واسبابها ونتائجها وويلاتها وانما الغرض بيان حال المرأة وتدخلها في السياسة ، ولا أظن انه يوجد شاهد صدق على فشل المرأة واخفاقها في السياسة كهذا الشاهد وكم هناك من شواهد اخرى علي ذلك لا مجال لها في هــذه العجالة المرتجلة والكلمة المقتضبة ، ونحن نحترم تلك المرأة الجليلة ونجلها ونقول : « لأجل عين الف عين تكرم » .

وجلّ الغرض بل كله بيان ما جبلت عليه طباع المرأة من الميل مع العاطفة وانها سريعة الاعتقاد سهلة الانقياد سليمة النفس مرهفة الحس وشيكاً ما تنخدع ، وسرعان ما تنصدع ، وما كان سبب واقعة الجمل السيئة التي تقطعت فيها على خطام ذلك البعــير الأزيب عشرات الالوف من الأكف والأيدي سوى من قتل حوله الى أن عقر الجمل وسقط الهودج ومن فيه هنالك وضعت الحرب اوزارها وأطفــأ الحق نارها ، وما كان سبب كل هذا إلا الانخداع وسرعة التأثر والانطباع فأودت بأرواح صناديد الاسلام وابطال المسلمين ضحية الأطماع ونتيجة الخداع وهــذه هي التي اوقدت جمرة الغيظ والألم العميق في احشاء أمير المؤمنين سلام الله عليه ، فوصم النساء بأنهن ناقصات العقول ناقصات الايمان ناقصات الحظوظ .

---

(١) في هودج زجي الى البصرة - خ ل .

ولا شك ان هذا الكلام منه سلام الله عليه ليس على اطلاقه وعمومه وإلا فكم من امرأة يفوق عقلها عقل عشرين رجل او اكثر من القديمات قبل الاسلام او الحادثة بعده وكم امرأة مؤمنة ايمانها اقوى من ايمان الف رجل وحظها اوسع من حظوظهم اما نقصها في الارث وفي الشهادة فهو تكريم لها وتعزيز لا تحقير وتنقيص كما ذكرنا وجه ذلك او نذكره في مجال آخر على ان لبعض النساء من الشجاعة النفسية والقوة البدنية مع ما لها من رقة الطبع ولين العاطفة ما يقصر عنه كثير من الرجال وكفاك شاهداً حديث صفية بنت عبد المطلب مع حسان بن ثابت وهما في اطام من اطم يثرب وقد رأت يهودياً يريد اقتحام الاطام فقالت لحسان : انزل اليه فاقتله فخاف وجبن فتلثمت ونزلت اليه فقتلته ، وقالت لحسان : انزل اليه فخذ سلاحه واسلبه ثيابه فاني امرأة ولا يليق بالمرأة ان تسلب الرجال . ومثلها قصة ام هاني وقد دخل دارها بعض المشركين وكان اخوها علي عليه السلام يريد قتله فاستجار بام هاني وهجم عليه الامام ليقتله فقبضت على يده تمنعه من قتله من استجار بها يقول سلام الله عليه لما كبست يدها على عضدي خارت جميع قواي ولم استطع أن اتحرك واخلص بنفسي منها ، أما الشجاعة الأدبية في النساء وثورتهن على الظلم ونقمتهن على الظالمين فيكفيك حديث النساء الوافدات على معاوية وقد استوسق له الملك واتسق له السلطان واستقامت له الامور فصار يطلب كل واحدة من نساء الأنصار ممن حرضت عليه في صفين فيدخلن عليه ويقرعن صفاته ويصرعن جبروته ويذكرن ظلمه وعتوه غير مكترثات ولا خائفات

راجع كتاب (بلاغات النساء) وانظر واعجب لتلك الشجاعة والبسالة في حين ان الرجال يتمرغون على اعتابه ، ويطول وقوفهم على ابوابه ، رجاء ثوابه أو خوف بطشه وعقـابه وإذا شئت ان تنظر الى ما هو أعلى من هذا الطراز ، وارفع من حقيقة هـذا المجاز ، فحول نظرك الى مواقف حرائر الرسالة ، وبنات النبوة والامامة ، انظر الى خطبة سيدة النساء فى حشد المهاجرين والانصار وهي مفجوعة مصابة بفقد أعز الخلق عليها وعلى الخالق جل شأنه وهي ايضاً شابة لا يزيد عمرها على ثمانية عشر سنة تهيب بهم ولا تهاب وقد نيطت بينها وبينهم ملاءة تقف بذلك الحفل الرهيب ، وقفة القارع الخطيب ، وتلقي عليهم تلك الخطبة البليغة المرتجلة التي لو جاء بها الرجل القارع فى الفصاحة بعـــد بذل أقصى الجهـد والروية في سنة كاملة لكانت آية في البراعة ومفخرة فى الصناعة ومثلها أو اعظم منها خطبة بنتها الحوراء زينب فى مجلس ابن زياد بالكوفة وهي اسيرة فى جمع من النساء والاطفال كلهم اسراء وثوا كل بغيرحام ولا كفيل ادخلوها عليه وهو ثمل نشوان بخمرتين خمرة الفتح والغلب ، وخمرة ابنة العنب ، جالس على كرسيه بين حشده وجنده وهي متنكرة وعليها أرث ثيابها فدفعه خبث جوهره ولؤم عنصره ان يظهر الشماتة بها ويتحداها فقال : من هذه المتنكرة ؟ فقيل له : زينب بنت علي ، فقال لها : زينب ! أرأيت صنع الله فيك وفى اخيك والعتاة المردة من أهل بيتك . قالت : مارأيت إلاجميلا اولئك قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا الى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم فانظر لمن الفلج يومئذ ثكلتك امك يابن مرجانة ، فأحمسته بهذه الكلمة

التي عرفته انه ابن الخنا ومن عنصر الزنا ، ولم يحر جواباً وكان بيده سوط فهم أن يضربها فمنعه جلساؤه ثم خطبت تلك الخطبة الخطيرة ، وهي مسبية أسيرة في ذلك الحفل الحاشد بالقواد والأجناد ورجالات الكوفة ورؤساء القبائل والأسباع والأرباع وقالت فيما قالت : انما يفتضح الفاجر ويكذب الفاسق وهو غيرنا يابن مرجانة ، فكر واعجب ما شئت ، انظر الى هذه الشجاعة وقوة القلب وعزة النفس والاتزان والأسير غالباً يكون مخذولا خائفاً مضطرب الجوانح مرتجاً عليه فكيف استطاعت تلك العلوية الطاهرة الشريفة وهي بذلك الوضع الشائك ، أن تأتي بتلك السبائك ، السبائك الذهبية بل يخس ويخسى الذهب عنها وما قيمة الذهب إزاء تلك الدراري التي تشع نوراً ولمعاناً ، وعظمة وإيماناً ، ويقيناً واتزاناً ، وأعظم من هذا موقفها في مجلس يزيد (وما ادراك ما يزيد وما مجلس يزيد) وما أدراك ماطاغوته وجبروته الشاب العاتي الظلوم الثمل السكران بسكر الشراب والشباب وسكرة الملك والسلطان وسكر الفتح والظفر ، جالس على كرسي الملك الذي أقام دعائمه على جماجم أهل البيت والعترة الطاهرة وادخلت عليه مع الاسارى من بني علي وفاطمة . وقيل : انهم مربقون بالحبال . نعم ادخلت عليه العقيلة ورأس الحسين بين يديه وبيده مخصرة ينكت بها ثنايا سيد شهداء الاباه وأب الشهداء فصدعت تاج طاغوته وجبروته بتلك الخطبة ارتجالا التي استهلتها بالآية الشريفة فقالت صدق الله حيث يقول : « ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوء أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزأون » .

أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أطراف الأرض وآفاق السماء

فصرنا نساق بين يديك كما تساق الاماء ، إن بنا على الله هواناً وبك عليه كرامة . فنظرت في عطفك وشمخت بأنفك جذلان مسروراً حيث رأيت الدنيا لك مستوسقة والامور متسقة وحيث صفا لك ملكنا وسلطاننا فمهلا مهلا لا تطش جهلا فوالله ما فريت إلا جلدك ، ولا قطعت إلا لحمك ، وسيعلم من سوّل لك ومكّنك من رقاب المسلمين بئس للظالمين بدلا وأيكم شر مكاناً وأضعف جندا ، يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين الى أن قالت له : ولئن جرت علي الدواعي مخاطبتك إني لأستصغر قدرك واستعظم توبيخك ، لكن العيون عبرى ، والقلوب حرى ، فكد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك ، فوالله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا ، وهل جمعك إلا بدد ، وأيامك إلا عدد ، ورأيك إلا فند ، فلم تصب تلك الصواعق والصواقع على رأس يزيد حتى تركت كثرته قلة وعزته ذلة ، وصيرته أحقر من نملة .

ولما طلب الشامي منه أن يهبه احدى بنات الحسين لتكون خادمة عنده قالت : كلا ! ما جعل الله ذلك له ولا لك . فقال يزيد : هو لي ولو شئت أن أفعل لفعلت . قالت : كلا ! إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا . قال لها : انما خرج عن الدين أبوك وأخوك . قالت : بدين جدي وأبي اهتديت أنت وأبوك إن كنت مسلماً يا عدو الله . انظر واعجب وفكر ما شئت — امرأة أسيرة بين يدي جبار طاغي تقول له في ملأ من وزرائه وقواده وهو على سرير الملك وله السلطة والسلطان والجنود والأعوان (يا عدو الله) غير مبالية بملكه وسلطانه ، ولا خائفة من بطشه وطغيانه . أي شجاعة وأي بسالة هذه ، وأي إقدام وتضحية ،

وهل يوجد في الرجال فضلا عن النساء مثل هـذه الشهامة والصرامة ولله قلبها المصدوع ما أقواه ولله ايمانها ما أشده ، وهذه الخطب الحـديدية وكلماتها النارية هي التي سلبت من يزيد تاجه . وأسقطت ملكه بأسرع زمان . بل محقت وأزهقت جميع ما سعى واجتهد له معاوية مدة عشرين سنة في توطيد الملك لولده يزيد وأولاد يزيد حتى دس السم للحسن (ع) الذي صالحه على أن تكون ولاية العهد له وبعده للحسين (ع) ولـكن ان بطش ربك لشـديد ، هلك يزيد وقوم يزيد ، وسرعان ما انقرض ملك بني سفيان وصار في قصر المدة كلعقة الكلب انفه .

والغرض من ذكر هـذه الكلمة أن نقول للحرائر النجيبات في عصرنا هذا إننا نتطلب منهن مثل هذه الشجاعة الأدبية نتطلب منهن الثورة على الظـلم والظالمين وتتابع الصرخات على المستعمرين ومحاسبة المسؤولين نريد أن يؤلفن الجمعيات ويتعاقدن ويتحالفن على نصرة المظلوم ومعاونة الضعيف وتشغيل الأيدي العاطلة وإسعاف المرضى وذوي العاهات وأعظم وألزم ماعليهن إنتشال المرأة من أوضار الفحشاء وأضرار البغاء ، والضرب على أيدي السماسرة والعملاء لهذا الداء الوبيل ومعالجة أمثاله من الأمراض الاجتماعيـــة التي انتشر شرها في جميع الممالك الاسلامية وخاصة في العراق كالخمور وشهادة الزور ، وهذه الامور هي الجذور الاصلاحية التي يجدر أن تقوم بها الجمعيات النسوية إذا لم ينهض لها الأكفاء من الرجال أو يساعدن الرجال في مقاومتها وإبادتها وإلا فالعاقبة وخيمة ، حكومة غيرحكيمة ، وشعوب ساقطة كالبهيمة ، حكومة تتذمر من شعب وشعب يتذمر من حكومة فكيف تكون العاقبة .

ألا وان من أسمى الأعمال الأساسية والسياسية السعي الحثيث الى الاصلاح ، اصلاح من الرجال والنساء للرجال والنساء لهذه الناشئة الطرية التي سقطت فى مداحض الرذيلة بكل أنواعها .

نعم ومن الحقوق السياسية للرجال والنساء وعليهم جميعاً ان يقفوا موقف المحاسب والمراقب من الحاكمين ، وموقف الناقم الثائر والمحارب الواتر من المستعمرين ، عسى أن يتحقق ما كنت أتمناه بقولي من عهد قديم في أبيات ملتهبة :

ألا صرخة في الكون يعصف ريحها   فتترك دار الظالمين بوارا
ألا عزمات توقد الأرض جمرة   تصب على المستعمرين اوارا
ألا نهضة تترى رجالا ونسوة   فتملأ ارجاء البسيطة نارا
ألا امة تحي فتحيي بلادها   فتحفظ أوطاناً وتغسل عارا

كان الله لي ولكم أيها المسلمون والمسلمات عوناً ونصيرا إنه نعم المولى ونعم النصير .

انتهت كلماته دامت حياته ونفع الله المسلمين ببركة وجوده .



تلفون (٣٦٨)

صدر الى الاسواق كتاب :

المثل العليا في الاسلام

لا في بحمدون

بقلم

محمد الحسين آل كاشف الغطاء

طاب ثراه